بلاغةُ التَّشبيهِ في التَّعبيرِ عن مَقاصِدِ القُرآنِ الكريم

Necla YASDIMAN DEMİRDÖVEN (*)
Suliman Husain ALOMİRAT (**)

المُلَخَّص

التَّشبيهُ لونٌ من ألوانِ التَّعبيرِ الجميل، لا يَخْتَصُّ بلُغةٍ ولا جنسٍ، بل هو سِمَةٌ لِسانيّةٌ مُشترَكة بينَ الأجناسِ البشريّة جميعِها؛ لأنَّ من طبيعةِ العقلِ البشريّ اكتشافَ العلاقاتِ المشترَكة بين الأشياء المتشابهة؛ ثُمّ المقايَسةَ بينَها، لذا فهو يدورُ على ألسنةِ الخواصّ والعوامّ والأغنياء والفقراء والبدوِ والحضَرِ...، لسهولةِ قولِه وفهمِه وجمالِه.

والتَّشبيهُ أحدُ أركانِ عِلم البيان، يشتركُ معَ الكِنايةِ والمجازِ في رسْم الصُّورِ البيانيّةِ في لسانِ العرب، والقرآنُ الكريمُ الذي نزلَ بلسانٍ عربيٍّ مُبينٍ كانَ غَنيّاً بالتَّشبيهاتِ المتنوّعة، وخاصّةً التّشبيهَ التَّمثيليَّ. وهذا البحثُ سيدرسُ تشبيهاتِ القرآن الكريم في مقاماتٍ متنوّعة؛ كالتَّرغيب، والتَّرهيبِ، والدَّعوةِ إلى التّفكُّر في الحياة الدُّنيا، ووصف أعمال الكافرين، ووصف مَشاهد الحشْرِ؛ من حيثُ جمالُها الأدبيّ، وقُدرتُها على التّعبيرِ عن مقاصد القرآن الكريم، ومَدى مُوافَقةِ هذه التَّشبيهات للمقام والسِّياقِ والسِّباقِ الذي تَرِدُ فيه؛ ومن حيثُ القيمةُ المعنويّةُ التي زادَها التَّشبيهُ على النَّصِّ القرآنيّ.

مفتاح الكلمات: التَّشبيهُ, التَّعبير, مَقاصِد القُرآنِ الكريم, اللّغة العربيّة, عِلم البيان.

*) Yrd. Doç. Dr., Katip Çelebi Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi, Arap Dili ve Belagatı (e-posta: neclayasdimandemir@gmail.com)

**) Yrd. Doç. Dr., İzmir Katip Çelebi Üniversitesi İslami İlimler Fakültesi. Arap Dili ve Belagati (e-posta: sulimanomirat@gmail.com).

Kur'ân-ı Kerim'in Maksatlarının Yorumlanmasında Teşbih Belagatı

Öz

Teşbih (benzetme sanatı) güzel anlatımın renklerinden bir renktir. Herhangi bir dil ya da millete de tahsis edilemez. Bilakis tüm beşeri unsurlar arasında müşterek bir lisanın sıfatıdır. Çünkü benzerlikler ve zıtlıklar tümüyle beşeri aklın karakteridir. Bunun için havas ve avam, zengin ve fakir, bedevi ve şehirlinin dilinde söyleniş ve anlama kolaylığı ve güzelliği dolayısıyla dolanıp durmaktadır.

Arap lisanında anlatım inceliklerinin resmedilmesine kinâye ve mecazın da katıldığı teşbih, beyan ilminin rukünlerinden biridir. Apaçık Arapça lisanıyla inen Kur'an-ı Kerim çeşitli teşbihlerle özellikle temsili teşbih yönünden zengin bir kitaptır. İşte bu araştırma; tergib ve terhib (uyarı ve teşvik), dünya hayatında tefekküre davet, kafirlerin amellerinin vasfı, haşr gününün vasfı gibi çeşitli makamlardaki Kur'ân-ı Kerim teşbihlerini edebi güzelliği bakımından, Kur'an-ı Kerim'in maksatlarını anlatım kudreti bakımından, bu teşbihlerin içinde geçtiği makama, siyak ve sibaka ne derece uygunluk gösterdiği bakımından ve bu teşbihin Kur'an nassına kattığı manevi kıymetin ne olduğu açısından inceleyecektir.

Anahtar Kelimeler: *Teşbih, Anlatım, Kur'an-ı Kerîm'in Maksatları, Arap Dili, Beyan İlmi.*

Simile Eloquence in the Interpretation of Qur'an's Purposes

Abstract

Simile (comparison art) is a beautiful expression of color in colors. It can not be allocated to any language or nation. Contrarily it is a common language attribute between all the human elements. Because similarities and contrasts are entirely the human mind characters. For this, in the educated-cultivated class and commons, poor and rich, bedouins and townee language pronunciation is hanging around because of the comprehension and ease of beauty.

In portraying the subtleties of Arabic language expression, simile which allusion and metaphor are also attended, is one of the pillars of scientific statement. The Quran which descent in Arabic language clearly, is a rich book in terms of various similes, especially representative simile. Thus this research, warning and encouragement, invite to contemplation in worldly life, characteristic of the deeds of the unbelievers, such as qualification of resurrection day, in terms of literary beauty of the Qur'an similitude in the various authorities, the Qur'an in order to respect the narrative power, authority which passes in the similitude will be examined in terms of the precedent and the antecedent to what extent demonstrate compliance with the terms of the simile and what is the moral value that added to the Quran verses.

Keywords: *Simile, İnterpretation, Quran's Purposes, Arabic Language, scientific statement.*

بلاغةُ التَّشبيهِ في التَّعبيرِ عن مَقاصِدِ القُرآنِ الكريم

تمهيد:

القرآنُ الكريمُ كتابُ هدايةٍ إلى الصِّراطِ المستقيم، وقد امتازَ بالفصاحةِ والبلاغة والبيان العالي، والله عزَّ وجلّ أنزلَ القرآنَ الكريمَ على العرب الذين كانوا مشهورين آنذاك بالفصاحةِ والبيانِ في أشعارِهم وخُطَبِهم، ثُمّ تَحدّاهم أنْ يأتُوا بمثلِه (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) [البقرة:23-24].

ولا مِراءَ في أنَّ أوجهَ الإعجازِ القرآنيِّ كثيرةٌ، كالإعجاز الغَيبيّ، والإعجاز التّشريعيّ، والإعجاز الكَونيّ، والإعجاز البلاغيّ...، وقد اجتهد كثيرٌ من علماء العربيّة في بيانِ أوجهِ الإعجاز اللُّغويّ والبلاغيّ في القرآن الكريم، وصَنَّفوا كُتباً مُهِمّةً في هذا المجال، مثلُ: «بيان إعجاز القرآن» لأبي سُليمان الخَطّابيّ (ت388هـ- 998م)، و«إعجاز القرآن» لأبي بكر الباقِلّانيّ (ت403هـ-1013م)، و«دلائل الإعجاز» لعبد القاهر الجُرْجانيّ (ت471هـ-1078م)، و«المُجيد في إعجاز القرآن المَجيد» للزَّمَلْكانيّ (ت651هـ-1253م).

وكانَ كلُّ عالِمٍ يعتني بالإعجازِ البيانيّ للقرآن الكريم من الجِهة التي يراها؛ فبعضُهم يهتمُّ بالآيات المُشْكِلة؛ كما في «تأويل مُشْكِل القرآن» لابن قُتَيْبَةَ (ت276هـ-889م)، وبعضهم يعتني بالأسرارِ البلاغيّة للتَّعبيرات المتشابهة والمكرَّرة في القرآن الكريم؛ كما في «دُرّة التَّنزيل وغُرّة التَّأويل» للخطيب الإسكافيّ (ت420هـ-1030م) و«البرهان في توجيه مُتشابِه القرآن لِما فيه من الحُجّة والبيان» للكَرْمانيّ

(ت505هـ-1110م)، و«مِلاك التَّأويل في توجيه المتشابِه اللّفظ من آيِ التّنزيل» لابن الزُّبَير الغَرْناطيّ (ت708هـ-1308م)، وبعضُهم يعتني بالبلاغةِ عامّةً وبمسائل علم المعاني خاصّةً؛ كما في «الكشّاف» للزَّمخشريّ (ت538هـ-1143م) و«التَّحرير والتَّنوير» للطَّاهر بن عاشور (ت1393هـ-1973م)، ويعتني البعضُ بفنون البديعِ القرآنيّ كما في «بديع القرآن» لابن أبي الإصبع المصريّ (ت654هـ-1256م)، والبعضُ يهتمُّ بالتَّناسُب بين الآيات والسُّوَر؛ كما في «نَظْم الدُّرَر في تَناسُب الآيات والسُّوَر» لبرهان الدِّين البِقاعيّ (ت885هـ-1480م)، وآخرون يهتمُّون بالصُّورة الفنّيّة وتصوير المَشاهد؛ كما «في ظلال القرآن» لسيّد قُطب (ت1387هـ-1966م).

وفي أيَّامِنا هذه ما زالَ علماءُ الأُمّةِ وبعضُ جامعاتها يجتهدون في خدمة القرآن الكريم، ويَنشرون مثلَ هذه الدّراساتِ القيّمةِ التي تكشِفُ عن بلاغة القرآن الكريم وجمالِه؛ إذ لا يكفي أنْ نقولَ للنَّاس: إنَّ القرآنَ الكريم بليغٌ جِدّاً، أو كلامُ القرآنِ لا مزيدَ عليه في الحُسْنِ، أو ما أروعَ بلاغةَ القرآنِ وبيانَه!..، فهذا الكلامُ حقٌّ، ولكنْ لا قيمةَ له في ميزانِ العِلم؛ لأنّه ليس مَقروناً بالأمثلةِ والأدلّة والبراهينِ التي تَدخُلُ قلوبَ النَّاسِ فتغمرُها بالإيمان، وتسكنُ عقولَهم، فيرسَخُ في وجدانِهم عظَمةُ القرآنِ الكريم وبلاغتُه وجلالُه وجمالُه.

وقد تعدَّدَتِ الأساليبُ البلاغيّةُ في القرآنِ الكريم، من حذفٍ وذِكْرٍ، وإيجازٍ وإطنابٍ، وتقديمٍ وتأخيرٍ، وإنشاءٍ وخبرٍ، وحقيقةٍ ومَجازٍ...، لكنَّ البيانَ القرآنيّ استكْثَرَ من التَّمثيلِ والتَّشبيه؛ وسيلةً للكشفِ والإيضاحِ عن مقاصدِ القرآنِ الكريم؛ كالتَّرغيب،

والتَّرهيب، والنُّصح والإرشادِ والتَّهذيب، والدّعوة إلى التّفكُّر، وبيان عظمةِ الخالقِ، وتثبيتِ فؤادِ الرَّسول صلّى الله عليه وسلَّم ومَن معَه، وغيرها، فكان التّشبيهُ وسيلةً فنّيّةً للتّعبير عن المقاصد القرآنيّة.

واجتهدَ السَّلَفُ في درايةِ هذا الأسلوب، وصنَّفوا فيه المصنَّفاتِ؛ وكانَ الرُّمّانيُّ (ت386هـ-994م) من أوائل المهتمِّين ببلاغة التَّشبيهِ في القرآن الكريم في رسالتِه: «النُّكَت في إعجاز القرآن»، ثُمّ «الجُمَان في تشبيهات القرآن» لابن ناقيا البغداديّ (ت485هـ-1092م)، و«الأمثال في القرآن» لابن قيِّم الجَوزيّة (ت751هـ-1349م)، كما اجتهدَ بعضُ المفسِّرين أيضاً في بيانِ جَمال التَّشبيهاتِ القرآنيّة.

ولكنَّ أكثرَ الدِّراساتِ الحديثةِ - معَ الأسَفِ - تقتصرُ في دراسةِ التَّشبيه على الجانب الشَّكْليّ دونَ الغوصِ في المضمون، فتعتني بالتَّشبيهِ مِن حيثُ هو تشبيهٌ تامٌّ الأركانِ، أو مُجْمَلٌ، أو مُرْسَلٌ، أو مُؤَكَّدٌ، أو تمثيليٌّ، أو ضِمْنيٌّ...إلخ؛ فتذكرُ نوعَ التَّشبيهِ، وتُحَدِّدُ أركانَه، دون النَّظرِ إلى القيمةِ الفنّيّةِ والجماليّةِ التي أضافَها التَّشبيهُ إلى النَّصِّ القرآنيّ، ودون انتباهٍ إلى الفائدة المعنويّة التي أَدّاها التَّشبيهُ في التَّعبير عن المَقْصِدِ القرآنيّ بطريقةٍ تؤثِّرُ في عقلِ المتلقّي وقلبِه. ولا شكَّ في أنَّ هذه التَّقسيماتِ للتّشبيه (مُجمَل، ومرسَل، ومؤكَّد...) مفيدةٌ في النّاحية التّعليميّة، لكنّها غيرُ كافيةٍ في البحث عن القيمة الفنّيّة والمعنويّة للتّشبيه في القرآن الكريم.

وينبغي أنْ نتنبَّهَ إلى الخطأ الذي تقعُ فيه بعضُ الدّراساتِ؛ إذ تدرُسُ التَّشبيهاتِ القرآنيّةَ بمَعزِلٍ عن سياقِها وسباقِها وسبب نزول آياتها، وكأنَّها جُزُرٌ مُتباعِدةٌ، والحقُّ أنَّ التَّشبيهَ وسيلةٌ لا غاية، فالأحسنُ مِن ذلك أنْ ندرُسَ أثرَ التّشبيهِ وقُدرتَه على الوفاء بالمقصد القرآنيّ، والقيمةَ الجماليّةَ التي أضافَها إلى النّصّ القرآنيّ.

وهذا المقالُ سيجتهدُ في إبرازِ نقطةٍ مُضيئةٍ في بلاغةِ القرآن الكريم، إنَّها التَّشبيه، فالقرآنُ الكريمُ يُصوِّرُ المشاعرَ والأحداثَ والأشخاصَ والأشياء، فيُثير خيالَ المتلقّي، فتتحوَّلُ الكلماتُ إلى صُورٍ، وتتحوَّلُ الجُمَلُ إلى مَشاهدَ مُتحرِّكةٍ، فيكونُ له تأثيرٌ بالغٌ في قلب المتلقّي وعقلِه، من خلال وسائلَ مختلفةٍ؛ كالتَّشبيه، والاستعارة، والمجاز، والكناية، والتَّعريض، والموسيقى، والبديع، والحكاية، وغير ذلك.

وليس المقصودُ من الخيالِ الجنوحَ بالذِّهنِ في مَتاهاتِ الوَهْمِ عبرَ صُورٍ وتصوُّراتٍ لا واقعَ لها، بل هو وصفُ أشياءَ بأُخرى أكثرَ وُضوحاً وأعذبَ معنًى وأبلغَ بياناً؛ كتشبيه الكلمةِ الطّيّبة بالشَّجرةِ الطّيّبة، والحورِ العِين باللُّؤلؤ المكنون، والمالِ المُنفَقِ في سبيلِ الله بحبّةٍ أنبتَتْ سنابلَ تكاثَرَتْ وحملَتْ قَمحاً كثيراً، وقسوةِ قلوبِ الكافرين بالحجارةِ، وأعمالِ الكافرين برمادٍ اشتدّت به الرِّيحُ في يومٍ عاصفٍ، أو بالسَّرابِ، أو بالظُّلُمات...، فمِثلُ هذه الأمثلةِ عندما تأتي في عباراتٍ أدبيّةٍ تُحْدِثُ أثراً تعليميّاً هو القياسُ وأَخْذُ العِبْرَةِ والموعظةِ، وقد اعتمدَ البيانُ القرآنيُّ التَّشبيهَ وسيلةً للتَّعبيرِ والإيضاحِ عن مقاصدِه الشَّرعيّة.

لذا فمقالُنا سيدرُسُ بلاغةَ التَّشبيهِ في التَّعبيرِ عن المقاصدِ القرآنيّة كالتَّرغيب والتَّرهيب وغيرهما، ومدى موافقة التَّشبيه فَنِّيّاً للمقامِ الذي وردَ فيه. ولا ريبَ في أنَّ هذا الموضوعَ غنيٌّ يستحقُّ كتاباً مُطوَّلاً، لكنّنا سنحاولُ في هذا المقالِ المختصرِ إظهارَ جمالِ الصُّورة القرآنيّة.

الموضوع:

1- بلاغة التَّشبيه في مَقام التَّرهيب:

ذكَرَ الله عزَّ وجلّ في سورةِ الصّافّات بعضاً من ثوابِ أهلِ الجنّة وما يرزُقُهم به من التَّمَرات والطّيّبات والنَّعيم، ثُمَّ سألَ على سبيل التَّوبيخ والتَّقريع: (أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) [الصّافّات:62-65] فالبيانُ القرآنيّ في هذه الآياتِ يصوِّرُ عذابَ الكافرين في جهنَّمَ، فيذكرُ من هذا العذابِ شجرةَ الزَّقُّومِ التي تَنبُتُ في قَعْرِ جهنَّمَ، وترتفعُ أغصانُها إلى دَرَكاتِها، والظَّاهرُ أنَّها شجرةٌ خبيثةٌ مُنْتِنَةٌ يُجْبَرُ الكافرون على تَزَقُّمِ ثمارِها الكريهةِ، وقد ذُكِرَ أنَّ الرَّسول صلّى الله عليه وسلَّم قال: «وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قَطَرَتْ فِي الْأَرْضِ، لَأَفْسَدَتْ عَلَى أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ غَيْرُهُ؟»[1].

وفي هذه الآياتِ تشبيهٌ مُجمَلٌ جاءَ في مقامِ التَّرهيب، فقد شُبِّهَ طَلْعُ شجرةِ الزَّقُّومِ برؤوس الشَّياطين، ولكنَّ العجيبَ في هذا التَّشبيهِ أنَّ المشبَّهَ «طَلْعُهَا» والمشبّهَ به «رُؤُوْسُ

(1) انظر: سُنَن ابنِ ماجَه (273هـ-887م)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ط1.

الشَّيَاطِيْن» كلاهما مجهولٌ عندَ المتلقّي، والأصلُ في التَّشبيه أن يكونَ المشبّهُ به أعرفَ وأشهرَ وأوضحَ من المشبَّه؛ حتَّى يتمكَّنَ المتلقّي من معرفةِ المشبّه جيّداً بعدَ مقايستِه بالمشبّه به المعروف عندَه سابقاً، بل المنطقُ يقولُ إذا كان التَّشبيهُ وسيلةً للتّعريفِ فلا يجوزُ التَّعريفُ إلّا بما يُعرَفُ.

أمَّا هذه الآيةُ فتُشَبِّهُ ثمرَ شجرةِ الزَّقُّوم – وهي مجهولةٌ لدى المتلقّي – بشيءٍ آخرَ مجهولٍ لديه أيضاً، وهو رؤوسُ الشَّياطين. فقد يَسألُ سائلٌ: كيف يكونُ تشبيهُ مجهولٍ بمجهولٍ؟ فالمخاطَبون بهذه الآيةِ – وهم المشرِكون – لا يعرفون شجرةَ الزَّقُّوم، ولا يعرفون رؤوسَ الشَّياطين؟

فالبيانُ القرآنيّ يصوِّرُ شجرةَ الزُّقّوم مُستعيناً بالتّشبيه الخياليّ أو الوهميّ، فطرفا التَّشبيه «طَلْعُهَا» و«رُؤُوْسُ الشَّيَاطِيْن» كلاهما خياليٌّ غيرُ معلومٍ للمتلقّي، ولكنْ لهما في مخيّلته أثرٌ كبيرٌ؛ لأنَّ عدمَ معرفةِ المتلقّي بطرفَيِ التّشبيهِ تجعلُ كلَّ إنسانٍ يسبحُ في خيالِه ويرسمُ صورةَ رؤوسِ الشّياطينِ وطَلْعِ الزَّقوم بهيئةٍ مُفزِعةٍ مختلفة عن تصوُّرِ النّاسِ الآخرين، وتكون هذه الصُّورةُ التي رسَمَها وَفْق ثقافتِه وبيئتِه ونفسيّته وتجاربِه، ولا شَكَّ بأنَّ كلَّ إنسانٍ سيرسمُها من أكثرِ الأشياءِ إخافةً له، كما أنَّ نفسَه ستذهبُ كلَّ مذهبٍ في تخيُّل الأشياءِ المُرعِبة، وهذا يُناسِبُ مقامَ التَّرهيبِ والوعيدِ في الآية الكريمة.

ولا ريبَ أيضاً في أنَّ الذِّهنَ الإنسانيَّ عامّةً والعربيَّ خاصّةً يدَّخِرُ أقبحَ الصُّورِ وأشنعَها للشَّيطانِ، وإذا رأَوا رجلاً قبيحَ المنظرِ أو الأفعالِ قالوا: هو كالشَّيطان، وذلك يعني أنَّ هذا التَّشبيهَ يرسمُ لنا صورةً فيها مُبالَغةٌ مؤثّرةٌ في نفسِ المتلقّي تُولِّدُ عندَه شعورَ النُّفورِ والخوفِ معاً.

وقد اجتهدَ علماؤنا في التَّعليقِ على هذا التَّشبيه، فقال الزَّمخشريُّ (ت538هـ-1143م): «وشُبِّه [طلعها] برؤوس الشَّياطين؛ دلالةً على تناهيه في الكراهةِ وقُبْحِ المنظر؛ لأنَّ الشَّيطانَ مكروهٌ مُسْتَقْبَحٌ في طِباع النّاس؛ لاعتقادِهم أنَّه شَرٌّ مَحْضٌ لا يخالطُه خيرٌ» [2].

وجاء في تفسير الشَّوْكانيّ (ت1250هـ-1839م): «طَلْعُها كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّياطِينِ، أي: ثَمَرُها وما تَحْمِلُهُ كأنّه في تناهي قُبْحِه وشَناعة مَنظرِه رؤوس الشَّياطينِ، فَشَبَّهَ المحسوسَ بالمُتخَيَّلِ، وإنْ كانَ غيرَ مَرْئِيٍّ؛ للدَّلالةِ على أَنَّهُ غايةٌ في القُبْحِ؛ كما تَقُولُ في تَشْبِيهِ مَنْ يَسْتَقْبِحُونَهُ: كَأَنَّهُ شَيْطانٌ، وفي تَشْبِيهِ مَنْ يَسْتَحْسِنُونَهُ: كَأَنَّهُ مَلَكٌ» [3].

فالعارفُ بلسانِ العربِ وأشعارِهم وثقافتِهم يعلمُ أنَّه استقرَّ في نفوسِهم أنَّ الشَّيطانَ هو الغايةُ في القُبحِ، والمَلَكَ هو الغايةُ في الحُسنِ والجَمالِ والأخلاقِ، والغُوْلَ هو الغايةُ في إدخال الرَّهبة والخوف إلى القلوب، فكانَ لهذه الألفاظِ معانٍ مُتصوَّرةٌ في أذهانِهم، فخاطبَهم الله تعالى بلسانِهم الذي هو نِتاجُ ثقافتِهم وتجارِبِهم، ففهموا القرآنَ فهماً صحيحاً، وأثَّر فيهم تأثيراً لا يبلغُه مَن لم يفقهْ لسانَ العربِ، ولم يَفهمْ ثقافتَهم وحياتَهم في زمن نزول القرآن الكريم عليهم.

وأمَّا تسميةُ البلاغيّين لهذا التَّشبيه بالتَّشبيه الوهميّ فلا يُقصَدُ بالوَهميّ أنَّه كاذبٌ، بل لأنَّ هذه الصُّورَ الذّهنيّةَ موجودةٌ في أوهامِهم وتخيُّلاتِهم، بصرفِ النَّظرِ عن تحقُّقِ وجودِها في الواقع أو عدمِه. وهذا لا ينفي أنَّ «طَلْعُهَا كَأَنَّه رُؤُوْسُ الشَّيَاطِيْنِ» حقيقةٌ

---

(2) انظر: الكشَّاف، الزَّمخشريّ (ت538هـ-1143م)، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ط3، 1407هـ. 46/4.

(3) انظر: فتح القدير، الشَّوكانيّ (ت1250هـ-1839م)، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1414هـ. 456/4.

واقعةٌ يومَ القيامة، ومن هذا نَعْلمُ أنَّ التَّشبيهَ القرآنيَّ يُساعدُ على رسم الصُّورة التي تُعبِّرُ عن المرادِ الإلهيّ من ترغيبٍ وترهيبٍ وغيرِ ذلك.

ونعلمُ أنَّ هذه الألفاظَ ومعانِيَها معهودةٌ لدى العربِ ومعروفةٌ لهم، فلا يقالُ: إنَّ القرآنَ خاطبَهم بما لا يعرفون، أو جاءهم بتشبيهاتٍ لا معرفةَ لهم بها؛ لأنَّه إذا كان المشبَّهُ «طَلْعُهَا» مجهولاً غيرَ مشاهَدٍ لدى المتلقّي؛ فإنَّ المشبّهَ به «رؤوس الشّياطين» غيرُ مُشاهَدٍ أيضاً، ولكنّه قد استَقرَّ في نفوسِ النّاسِ قُبحُ الشَّياطينِ حتّى صارَ بمنزلةِ المُشاهَدِ.

وذكَرَ الفرّاء (ت207هـ-822م) [4]، والطَّبَريُّ (ت310هـ-923م) [5]، والبَغَويّ (ت510هـ-1117م) [6]، وابن الجَوزيّ (ت597هـ-1201م)[7]، وغيرُهم أنَّ التَّعبيرَ «رُؤُوْسُ الشَّيَاطِيْنِ» له في العربيّة ثلاثةُ أوجُهٍ: أوّلها أنّ طلعها كرؤوس الشّياطين في القُبح، أو أنّها حَيّاتٌ كانت معروفةً عندَ العرب آنذاك، أو أنَّها نَبْتٌ قبيحٌ يُسمَّى رؤوسَ الشَّياطينِ[8].

---

(4) انظر: معاني القرآن، الفرّاء (ت207هـ-822م)، تحقيق: النّجاتي والنّجّار وشلبيّ، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة – مصر، ط1. 387/2.

(5) انظر: جامع البيان في تأويل القرآن، الطَّبَريّ (ت310هـ-923م)، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 2000م. 53/21.

(6) انظر: معالم التَّنزيل في تفسير القرآن، البَغَويّ (ت510هـ-1117م)، تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي، دار إحياء التّراث العربيّ _ بيروت، ط1، 1420هـ. 33/4.

(7) انظر: زاد المسير في علم التَّفسير، ابن الجَوزيّ (ت597هـ-1201م)، تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي، دار الكتاب العربيّ _ بيروت، ط1، 1422هـ. 543/3.

(8) انظر: لسان العرب، ابن منظور (ت711هـ-1311م)، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ. (شطن).

ولا يخفى أنَّ في الآيةِ صورةً أُخرى لا تَقِلُّ رَهبةً وتأثيراً، وهي أنَّ هذه الشّجرةَ تَنْبُتُ في قعرِ جهنّم، وهذا مُخالِفٌ للقانون الطّبيعيّ الذي اعتادَه البشرُ؛ لأنَّ الشجرَ يحترقُ في النّار، ولا ريبَ في أنَّ تصوَّرَ الإنسانِ لهذه الشَّجرةِ التي لا تأكلُها النّارُ يزيدُ من خوفِه ورَهَبُوتِه من هذه الشَّجرة القبيحة، وهذا مناسبٌ في معرضِ التَّهويل والتَّفظيعِ.

2- بلاغةُ التَّشبيه في مقام التَّرغيب:

يصفُ اللهُ سُبحانَه في سورةِ الواقعةِ أهلَ الجنّة وقُرْبَهم من ربِّهم، وما أَعَدَّ لهم من النَّعيم، مُعدِّداً بعضَ النِّعَمِ التي يمكنُ أن يدركَها حِسُّ المخاطَبين، وَفْقَ معارفِهم وتجاربهم الدُّنيويّة؛ من لحومٍ وفاكهةٍ وشرابٍ ومُتَّكَأٍ وخَدَمٍ مع راحةِ بالٍ من الهموم والأحزان والخوفِ، في صورةٍ تُرغِّبُ المتلقِّيَ وتُشوِّقُه إلى الجنّة، ثُمَّ يقول: (وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ) [الواقعة:23]، والحُور: جمعُ حَوْراء، وهي الفتاةُ البيضاءُ البَدَنِ، صافيةُ بياضِ العَينِ، شديدةُ سوادِ الحَدَقةِ[9]، وقيل: سُمِّيتْ حُوراً؛ «لأنَّ الطَّرْفَ يَحارُ فِيهِنَّ» [10]. والعِيْن: جمعُ عَيناء، وهي النَّجلاءُ العَيْنِ معَ حُسْنٍ[11]. وهما صفتان جماليّتان محبوبتان عندَ العربِ، كما يظهرُ لنا من أشعارِهم القديمة.

([9]) انظر: لسان العرب (حور).

([10]) انظر: تفسير أبي المظفَّر السَّمْعانيّ (ت489هـ-1096م)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عبّاس بن غنيم، دار الوطن، الرّياض – السّعوديّة، ط1، 1997م. 347/5.

([11]) انظر: تفسير الطّبريّ 107/23.

ففي هذه الآيةِ تشبيهٌ مُجمَلٌ، جاءَ في مقامِ التَّرغيبِ، فقد شُبِّهَتِ الفتياتُ الحُورُ العِيْنُ باللُّؤلؤِ المكنونِ، ولكنْ أين القيمةُ الفنّيّةُ التي صَنعَت التَّرغيبَ والتَّشويقَ للمتلقّي في هذه الآيةِ الكريمة؟

لا ريبَ في أنَّ المشبَّهَ به (اللُّؤلؤ المكنون) تضمَّنَ قيمتين جميلتين يرغبُهما أيُّ شابٍّ في زوجِه، وهما الجمالُ والعِفّةُ، فاللُّؤلؤُ يرمُزُ إلى الجمالِ والرَّوعةِ، ويعني أنَّ هؤلاءِ الفتياتِ رائعاتٌ وجميلاتٌ، كما أنَّ اللُّؤلؤَ غالي الثَّمَنِ لا يحصُلُ عليه إلّا الإنسانُ الغنيُّ الذي كَثُرَتْ أموالُه وزادَت ثرواتُه، وكذلك الحورُ العينُ غاليةٌ لا يفوزُ بها إلّا الإنسانُ الذي كَثُرَتْ طاعاتُه وزادَت حَسَناتُه.

وفي سورة الرّحمن شبَّهَهُنَّ بالياقوتِ والمَرْجان: (كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ) [الرَّحمن:58]، ووجهُ الشَّبَه أنَّهُنَّ «في صفاءِ الياقوتِ، وبياضِ المَرجان»[12]، أو أنَّ لونَ الاحمرارِ في خُدودِهِنَّ كَلَونِ الياقوتِ والمرجانِ[13]؛ فضلاً عن مَنزلتِهنَّ العاليةِ وقيمتِهنَّ الغاليةِ كالجواهرِ الكريمةِ.

وفي هذه الصُّورِ تشويقٌ للمتلقّي، وخاصّةً للشّابّ الذي يَغُضُّ بَصَرَه عمّا حرَّمَ الله، وينهى النَّفسَ عن الهوى، وأمَّا أنْ تكونَ هذهِ اللُّؤلؤةُ مكنونةً لا تَمَسُّها الأيدي، فهذا

(12) انظر: الكَشّاف 452/4.

(13) انظر: التَّحرير والتَّنوير، الطَّاهر بن عاشور (ت1393هـ-1973م)، الدّار التّونسيّة للنّشر – تونس، ط1، 1984م. 269/27.

يعني أنَّها مَصُونَةٌ مخبوءةٌ لا يَراها إلّا صاحبُها، أي أنَّ هؤلاءِ الفتياتِ الرَّائعاتِ السَّاحراتِ الجمالِ طاهراتٌ عفيفاتٌ لا يرى الواحدةَ منهنَّ إلّا زوجُها المؤمنُ الطَّاهر.

وهذا يُذَكِّرُنا بقولِه تعالى: (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ) [الصَّافّات:48-49]، فالمعنى واحدٌ، والتَّشبيهُ واحدٌ، ولكنْ زادَت هذهِ الآيةُ جمالاً بالكنايةِ عن الحُوْرِ العِينِ ببعضِ صفاتِهن (قاصِرات الطَّرف)، «والغرضُ أنهنَّ – معَ هذا الجَمالِ الباهرِ – مَصوناتٌ؛ كالدُّرِّ في أصدافِه، معَ رِقَّةٍ ولُطْفٍ ونُعُومةٍ (كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ) لا تَبْتَذِلُه الأيدي ولا العيونُ، والعربُ تُشَبِّهُ المرأةَ بالبَيْضَةِ؛ لصفائِها وبياضها» [14]. ورُوي أنَّ الرَّسولَ صلّى الله عليه وسلَّم ذكَرَ جَمالَ الحُورِ بقولِه: «سَطَعَ نُورٌ في الجنَّةِ، فرَفَعُوا رُؤُوسَهُم فإذا هو مِن ثَغْرِ حَوْراءَ ضَحِكَتْ في وَجْهِ زَوْجِها» [15].

وقال ابنُ عطيّة (ت542هـ-1146م): «وخَصَّ المَكْنُونِ من اللُّؤلُؤِ؛ لأنَّه أصفى لوناً وأبعدُ عن الغَير» [16]، ولكنْ نتساءلُ هنا عن سببِ تَكرارِ أداةِ التَّشبيهِ؛ فالبيانُ القرآنيُّ كانَ بوُسْعِه القولُ: (وحورٌ عينٌ أمثالُ اللُّؤلؤِ المكنون) أو (وحورٌ عِيْنٌ

---

(14) انظر: صفوة التَّفاسير، محمّد عليّ الصّابونيّ، دار الصّابونيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع – القاهرة، ط1، 1997م. 29/3.

(15) انظر: حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهانيّ (ت430هـ-1038م)، دار السَّعادة - بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م. وتفسير البَغَويّ 7/5.

(16) انظر: المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسيّ (ت542هـ-1146م)، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط1، 1422هـ. 243/5.

كاللُّؤلؤِ المكنونِ)، ولكنَّه آثَرَ الجمعَ بينَ أداتَي تشبيهٍ «كأمثال» في تشبيهٍ واحدٍ؛ لقصدِ المُبالَغةِ[17]، وللتَّأكيدِ على صفةِ الجمالِ والصَّفاءِ والطُّهرِ في هؤلاء الفتياتِ. ورأى العِزُّ بنُ عبدِ السَّلامِ (ت660هـ-1262م) أنَّ تشبيهَهُنّ باللُّؤلؤِ؛ بسببِ «نَضارتِهنّ، وتشابُهِ أجسادِهنَّ في الحُسْنِ في جميعِ الجوانبِ»[18].

3- بلاغة التَّشبيه في الدَّعوة إلى الإنفاق في سبيل الله:

وردَتِ الدَّعوةُ إلى الإنفاقِ في القرآنِ الكريمِ في مواضعَ عِدّةٍ، وفي صُوَرٍ مختلفةٍ، كلُّها تُشَجِّعُ على الإنفاقِ من الحلالِ الطَّيِّبِ ومِن غير رِياءٍ أو مَنٍّ أو أذىً، وتَعِدُ المنفِقَ بالثَّوابِ العظيمِ، لكنَّه وَرَدَ في القرآنِ الكريمِ تشبيهٌ يَخْتَصِرُ كُلَّ تلك المعاني؛ بقولِه تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ) [البقرة:261].

فهذا تشبيهٌ تمثيليٌّ جاءَ في مقامِ الدَّعوةِ إلى الإنفاقِ في سبيلِ الله، فقد شُبِّهَ حالُ مَنْ يُنْفِقُ قليلاً في سبيلِ الله ثُمّ يَلقى عليه ثواباً وعطاءً كبيراً؛ بحالِ مَن بَذَرَ حَبّةً فأنبتَتْ

---

(17) انظر: مفاتيح الغيب، الرّازيّ (ت606هـ-1209م)، دار إحياء التُّراث العربيّ – بيروت، ط3، 1420هـ. 397/29.

(18) انظر: تفسير العزّ بن عبد السَّلام (ت660هـ-1262م)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 1996م. 275/3.

سبعَ سنابلَ في كُلِّ سنبلةٍ مئةُ حَبّةٍ، ووجهُ الشَّبَهِ هو صورةُ مَن يعملُ قليلاً فيَجْنِي من ثمارِ عملِه كثيراً.

وهذا التَّشبيهُ في لفظِه يُبيّنُ شَرَفَ النَّفَقةِ في سبيلِ الله، وفي مضمونِه يُحرِّضُ عليها، ولكنَّ هذا التَّشبيهَ جاء مُطنَباً بالبسْطِ؛ فالهدفُ بيانُ مُضاعَفةِ أَجْرِ المُنفِقِ في سبيلِ الله إلى سبعِمئة ضِعْفٍ فما فوقَ ذلك، وهذا المعنى يُمكنُ تأديتُه بعبارةٍ أقصرَ، لكِنْ جاءَ تمثيلُ المنفقِ لحبَّةٍ واحدةٍ في سبيلِ اللهِ بزارعِ حبَّةٍ أنبتَتْ سبْعَ سنابلَ في كلِّ سُنْبُلَةٍ مئةُ حبَّةٍ، ولا ريبَ في أنَّ هذهِ الصُّورةَ الذِّهنيَّةَ التي يتخيَّلُها المتلقّي تُثيرُ عندَه فِطْرَةَ الطَّمَعِ وحُبِّ الزِّيادة، وخاصَّةً أنَّ صورةَ السَّنابلِ مُأخوذة من الطَّبيعةِ يعرفُها الزَّارعون، وهي قريبةٌ من حياةِ كُلِّ إنسانٍ.

ولا شكَّ بأنَّ استثارةَ طَمَعِ الإنسانِ يكونُ مُحرِّضاً ذاتيّاً له على البَذْلِ والإنفاقِ والعطاءِ في سبيلِ الله، ولكي نعرِفَ قيمةَ هذه الصُّورةِ وأثرَها في النَّفْس؛ فلنتخيَّلْ أنَّ الآيةَ جاءَت هكذا: (الله يعطي المنفقَ سبعَمئةِ ضعفٍ)، وعندَها نُقارِنُ هذه العِبارةَ، بصورةِ رَجُلٍ يَزرعُ حبّةَ قمحٍ في التُّرابِ، فيُصيبُها غيثٌ، ثُمَّ تنبُتُ منها ساقٌ، ويتشعَّبُ من السَّاقِ سبعُ سنابلَ، فيفرحُ الرَّجلُ، ثمَّ يتفاجأُ بمنظرٍ بديعٍ عجيبٍ عندَما تفيضُ كلُّ سنبلةٍ بمئةِ حبّة، فيزدادُ فَرَحُ هذا الرّجلِ بتلك القمحةِ الصَّغيرةِ التي أصبحَت حقلاً، فيحملُه الفرحُ وحُبُّ الزّيادةِ على زراعةِ المزيدِ مِن القمحِ حتَّى يَكْسِبَ الكثيرَ من السَّنابلِ، لا شكَّ في أنَّ هذهِ الصُّورةَ القرآنيّةَ لها في نفوسِنا أثرٌ عميقٌ يُشجّعُنا على الإنفاقِ.

وفي هذا التَّشبيهِ اختصارٌ، والتَّقديرُ: مَثَلُ صَدَقاتِ الذين...، ولكنِ اقتضَتْ بلاغةُ القرآنِ الكريمِ القولَ: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ»، وآثرَتْ ذِكْرَ المنفِقِ بدلَ المنفَقِ؛ لأنّ المنفِقَ هو المقصودُ بالتَّشجيعِ؛ وليشعرَ كُلُّ متصدِّقٍ أنَّه هو المقصودُ بالخِطابِ، وهذا مناسبٌ لمقامِ التَّشويق والتَّشجيع على البذْلِ والعطاءِ.

ولو حاولْنا تحليلَ الصُّورةِ إلى أجزائها الصُّغرى لَرأيْنا أنَّ الإنفاقَ يُشْبهُ عمليّةَ الزَّرْعِ، كما أنَّ تنميةَ الله له تُشْبهُ الإنباتَ الجيّدَ، وكذلك مُضاعَفةُ الأَجْرِ تُشْبِهُ تكاثُرَ السَّنابلِ من الحبَّةِ الواحدةِ وتكاثُرَ الحَبِّ في كُلِّ سنبلةٍ. وكأنَّ هذا التَّشبيهَ يقولُ لقارئِ القرآنِ: الصَّدقةُ مَزْرَعةُ الآخرةِ، فاجتهدْ وازرعْ واللهُ يُضاعفُها لك في تجارةٍ رابحةٍ، وكلمةُ «حَبّة» كأنَّها تُفيدُ أنَّ هذا الوعدَ الإلهيَّ يوافقُ كُلَّ صَدَقَةٍ مهما صَغُرَتْ.

وفي هذا التَّشبيهِ أمرٌ آخَرُ؛ إذْ لم يُعرَفْ في عاداتِ الزّراعةِ أنْ يُرى في السُّنْبُلةِ الواحدةِ مئةُ حَبّةٍ، لكنَّ البيانَ القرآنيَّ قصَدَ المبالغةَ في رسمِ التَّشبيهِ ليكونَ أبلغَ أثراً في نفسِ القارئ، وربَّما لم يقصدِ البيانُ القرآنيُّ أنَّ في كُلِّ سنبلةٍ مئةَ حبّةٍ فقط، بل رُبَّما ذُكِرَ العددُ «سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ» ضَرْبَ مثلٍ لتقريبِ فكرةِ التَّكثيرِ إلى أذهانِنا بأنَّ هذه الحبّةَ أعطَتْ سبعَ سنابلَ، وكلٌّ منها أعطَتْ مئةً؛ لقصدِ بيانِ الزِّيادةِ والمُضاعَفةِ في ثوابِ الصَّدقةِ، وما يُقوّي هذا الظَّنَّ أنّ العربَ في عادةِ كلامِها تُطلِقُ العددَ (سبعة، وسبعين) وهم يقصدون – في بعضِ الأحيانِ – الكنايةَ عن كثرةِ العدد، ولا يقصدون العدد (سبعة) عينَه. ولذلك قال ابنُ منظور (ت711هـ-1311م): «وقد تَكرّرَ ذِكْرُ السَّبْعةِ والسَّبْعِ والسَّبْعِينَ والسَّبْعِمئةِ في القُرآنِ وفي الحديثِ، والعربُ تَضَعُها مَوضِعَ التّضعيفِ والتّكثيرِ؛ كقولِه تعالى: (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ)

[البقرة:261]، وكقولِه تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾[التوبة:80]»[19].

فهذا التَّشبيهُ عبَّرَ عن فكرةٍ مُجرَّدَةٍ وهي الأَجْرُ والثَّوابُ العظيمُ، وأنَّ اللهَ تعالى يُكافِئُ على القليلِ بالكثيرِ، عبَّرَ عن هذه الفكرةِ المعنويّةِ بصورةٍ حِسّيّةٍ واضحةٍ للعالِمِ والجاهلِ على حدٍّ سواء. وإنْ كانَ بعضُ المفسِّرين ذكَروا أنَّ هذا ممكنٌ – أي إنباتُ السُّنبُلةِ الواحدةِ مئةَ حبّةٍ – في بعضِ الحبوب كالذُّرَةِ والدُّخْنِ[20]، ولكنْ نظنُّ أنَّ هذا لا أهميّةَ له إذا فهمْنا أنَّ المقصودَ هو ضربُ المثَلِ.

وقالَ الزَّمخشريّ (ت538هـ-1143م) في هذا التَّشبيه: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ: لا بُدَّ من حذفِ مضافٍ؛ أي: مَثَلُ نَفَقَتِهم كمَثَلِ حبّةٍ، أو مَثَلُهم كمثل باذِرِ حبّةٍ...، وهذا التَّمثيلُ تصويرٌ للإضعافِ، كأنَّها ماثلةٌ بينَ عيني النَّاظرِ»[21].

وأمَّا الرّازيُّ (ت606هـ-1209م) ففهمَ هذا التَّشبيهَ على أنَّه ضربُ مَثَلٍ لتقريبِ الصُّورةِ، فجاء في تفسيره: «فإنْ قيلَ: فهل رأيتَ سُنْبُلَةً فيها مِئةُ حَبّةٍ حتّى يُضْرَبَ المثلُ بها؟ قلْنا: المقصودُ من الآيةِ أنَّه لو عَلِمَ إنسانٌ يطلبُ الزّيادةَ والرِّبْحَ أنَّه إذا بَذَرَ حبَّةً واحدةً أخرجَتْ له سبعَمئةِ حبّةٍ ما كان ينبغي له ترْكُ ذلك ولا التَّقصيرُ فيه، فكذلك ينبغي لِمَنْ طَلَبَ الأجرَ في الآخرةِ عندَ اللهِ ألّا يترُكَه إذا عَلِمَ أنَّه يحصُلُ له على

---

(19) انظر: لسان العرب (سبع).

(20) انظر: تفسير البَغَويّ 395/1، وأنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل، البيضاويّ (ت685هـ-1292م)، تحقيق: محمّد عبد الرّحمن المرعشليّ، دار إحياء التّراث العربيّ – بيروت. 158/1.

(21) انظر: الكَشّاف 311/1.

الواحدةِ عشرةٌ، ومئةٌ، وسبعُمئةٍ. وإذا كان هذا المعنى معقولاً سواءٌ وُجِدَ في الدُّنيا سُنبلةٌ بهذه الصِّفة أو لم يُوجَدْ كان المعنى حاصلاً مُستقيماً»[22].

وقال ابنُ كَثِير (ت774هـ-1373م): «وهذا المَثَلُ أبلغُ في النُّفوسِ من ذِكْرِ عدد السَّبعمئة؛ فإنَّ هذا فيه إشارةٌ إلى أنَّ الأعمالَ الصّالحة يُنمّيها الله عزّ وجلّ لأصحابِها كما يُنمّي الزَّرعَ لمَن بَذَرَه في الأرضِ الطَّيّبة»[23].

4- بلاغة التَّشبيه في مقام الدّعوة إلى التَّفكُّر في الحياة الدّنيا:

ذكَرَ الله سبحانَه الحياةَ الدُّنيا وأنَّها فانيةٌ، وذكَّرَ بأنَّ زينتَها زائلةٌ في أكثرَ مِن موضعٍ من القرآن الكريم، بعضُها على الحقيقة؛ كقوله تعالى: (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [آل عمران:185]، و(يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ) [فاطر:5]. وبعضُها في ثوبِ التَّشبيهِ؛ وذلك بحسَبِ السِّياقِ الذي تَرِدُ فيه الآيةُ، ومن ذلك قولُه تعالى: (واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) [الكهف:45]. «هَشِيماً»: أي يابِساً مُتفتِّتاً، «تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ»: أي تُطيِّرُه وتُفَرِّقُه[24].

---

(22) انظر: مفاتيح الغيب 40/7.

(23) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير (ت774هـ-1373م)، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط2، 1999م. 691/1.

(24) انظر: مجاز القرآن، أبو عُبَيدة (ت209هـ-824م)، تحقيق: محمّد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1381هـ. 405/1.

فهذا تشبيهٌ تمثيليٌّ جاءَ في مقامِ الدَّعوةِ إلى التَّفكُّرِ والاعتبارِ والاتِّعاظِ، فليس المرادُ تشبيهَ حالِ الدُّنيا بالماءِ, بل المرادُ تشبيهَ حالِ الدُّنيا في إقبالِها على الإنسانِ واغترارِه بابتسامتِها الخادعةِ, وطلائها الكاذبِ، وما يعقُبُ ذلك من زَوالِ نعيمِها، وامِّحاءِ بَهجتِها ونَضارتِها؛ بحالِ النَّباتِ الذي يُغذِّيه الماءُ فتَنْضُرُ خُضْرَتُه، وتبتسمُ زهرتُه، ثمّ لا يَلْبَثُ أنْ تنطفئَ هذه النَّضْرةُ، وتذبلَ هذه الزَّهرةُ، ويتحوَّلَ النّباتُ النَّضْرُ البهيجُ إلى هشيمٍ تذروه عواصفُ الرّياحِ كأنْ لم يَكُنْ.

ووجهُ الشَّبَهِ هو الهيئةُ الحاصلةُ من حُسْنٍ وبهجةٍ وهناءٍ، يأتي بعده تَلَفٌ وشقاءٌ وفَناءٌ, وذلك ليتَّعِظَ الإنسانُ، ويخفِّفَ من إعجابِه بالدُّنيا واستحسانِه لها وسعيه وراءَها، وليعرفَ مصيرَ هذه الحياةِ وزينتِها، ولكي يلتفتَ إلى آخرته.

وقد وردَ المعنى عينُه في سورةِ يونس؛ إذ شُبِّهَتِ الدُّنيا بالماءِ وأثرِه، ولكنْ يزدادُ التَّشبيهُ هنا وُضوحاً بما يتناسبُ معَ سياقِه؛ إذ يقولُ تعالى: (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [يونس:24].

«قَادِرُونَ عَلَيْهَا»: مُتمكِّنون مِن تحصيلِ ثمارها، «حَصِيدًا»: مقطوعة مقلوعة من أصولها[25]. «لَمْ تَغْنَ»: لم تَكُنْ[26].

فكم يفرحُ الإنسانُ حين يرى أرضَه نزلَ بها الغيثُ، فأنبتَتِ الأعشابَ الخضراءَ التي تبعثُ في المكانِ الحياةَ والأملَ، ثُمّ ارتفعَتْ سُوْقُ الأشجارِ، وطالَتْ أغصانُها، وأزهرَتْ تلك الأغصانُ بأزهارٍ جميلةٍ، زاهيةٍ ألوانُها، عَذْبةٍ رائحتُها، ثُمّ تدلَّتْ تلك الأغصانُ بثمارٍ بديعةِ المنظرِ، لذيذة المذاقِ، فصارَتْ هذه الأرضُ كأنَّها عروسٌ تزيّنَتْ ولبسَتْ أجملَ أثوابِها، أو كأنَّها جنَّةٌ تعلنُ لصاحبِها الفرحَ والسُّرورَ، فيشعُرُ بالإعجابِ والاستحسانِ والتَّعظيم، ويتعلَّقُ قلبُه بتلك الأرضِ وزينتِها، ويخدُمُها ويسعى لها ويتعبُ لأجلها، وهو يرجو أن يُصبحَ غنيّاً أكثرَ، وأنْ يستفيدَ من ثمارِها وخيراتِها، ثُمَّ فجأةً — وبعد كلِّ هذا السَّعي والكَدْحِ والخدمةِ — تموتُ تلك الأشجارُ، وتصبحُ جنّتُه الخضراءُ صحراءَ خاليةً خاويةً، عندها تتحطَّمُ أحلامُه، وتخيبُ آمالُه؛ لأنَّها جنَّةٌ خدّاعةٌ فانيةٌ لا تستحقُّ أنْ نمنحَها قلوبَنا الصَّافية، عندَها فقط يشعرُ هذا الرَّجلُ بندامةٍ كبيرةٍ، ويُدرِكُ أنَّه صَرَفَ كُلَّ طاقاتِه الرُّوحيّة والبَدَنيّة في سبيلِ وَهْمٍ خادعٍ لا يستحقُّ، وعندَها يتمنّى لو بَذَلَ جُهدَه في سبيل مَن يَستحقُّ.

---

(25) انظر: تفسير الطَّبريّ 56/15.

(26) انظر: تفسير الجلالين، المحلّيّ (ت864هـ-1459م)، والسُّيوطيّ (ت911هـ-1505م)، دار الحديث، القاهرة، ط1. ص270.

كذلك هي الحياةُ الدُّنيا بكلِّ مباهجِها من الصِّحّةِ والأولادِ والزَّوجةِ والمالِ والسُّلطانِ والجَمال، كلُّ أولئك يتعلَّقُ بها قلبُ المرءِ، ويعملُ لدنياه، ويستكثرُ من الأموال، غافلاً عن آخرتِه، ثُمَّ فجأةً ينطفئُ كلُّ بريقِها في لحظةٍ واحدةٍ، ويَتَخَطَّفُه الموتُ، ولا ينفعُه مالٌ ولا بنون، عندَها يتمنَّى لو أنَّه بذَلَ أقصى جُهْدِه في بناءِ قصرٍ في الجنّة، لا لخدمةِ دُنيا لن يفوزَ منها إلَّا بحُفرةٍ يأخذُه إليها أهلُه وأصحابُه يتركونَه فيها تحتَ التُّرابِ، ويذهبون إلى اللَّهو والفرحِ بمباهجِ الدُّنيا كما كان يفعلُ هو مِن قَبْلُ.

هذه النّتيجةُ يُدركُها المتلقِّي بعدَ قراءةِ هذهِ الآيةِ والتَّفكُّرِ في هذا التَّشبيهِ التَّمثيليّ، أمَّا لو قالَ البيانُ القرآنيّ مثلاً: (الحياةُ الدُّنيا زائلةٌ غيرُ باقيةٍ) فإنَّ المعنى النِّهائيَّ سيبقى نفسَه، ولكنَّ قوّةَ التّأثيرِ والإقناعِ من خلال مُخاطَبةِ خيالِ الإنسانِ ووجدانِه وعاطفتِه لن تكونَ موجودةً، وهذا يعني أنَّ التَّشبيهَ هنا ساعَدَ على إيصالِ المقصِدِ القرآنيِّ إلى المتلقِّي في أبلغِ صورةٍ مُؤثِّرةٍ.

وقد تنبَّه الزَّمخشريّ (ت538هـ-1143م) إلى لطيفةٍ بيانيّةٍ في هذا التَّشبيه إذ قال: «جُعلَتِ الأرضُ آخِذةً زُخرفَها على التَّمثيل بالعروسِ؛ إذا أخذَتِ الثّيابَ الفاخرةَ من كلِّ لونٍ، فاكتسَتْها وتزيّنَت بغيرها من ألوانِ الزِّيَن»[27]. وأظهرَ البِقاعيُّ (ت885هـ-1480م) إعجابَه بهذا التَّشبيهِ وحُسْنِ تصويرِه لفكرةِ الحياةِ والفَناءِ والسَّاعةِ بقولِه: «ولـمّا كان هذا المَثَلُ في غايةِ المُطابَقةِ للسَّاعةِ؛ هَزَّ السَّامعَ له، فازدادَ عَجَبُه من

([27]) انظر: الكشّاف 340/2.

حُسْنِ تفصيلِه بعد تأصيلِه، فقيل جواباً له: (كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)»[28].

وفي سورةِ الحديدِ يُقرِّرُ البيانُ القرآنيُّ هذه الفكرةَ ويُؤَكِّدُها بالتَّشبيه عينِه، ولكنْ معَ زيادةِ توضيحٍ وتقريرٍ؛ إذ يقولُ تعالى: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) [الحديد:20]. الكُفّار: الزُّرّاع.

وإنَّ التَّشبيهاتِ في السُّوَرِ الثّلاثِ تكادُ تكونُ واحدةً، فكلُّها تُفيدُ أنَّ إعجابَ النّاسِ وانشغالَهم بالغيثِ الذي نزلَ، فأعقبَه نباتٌ وزهرٌ وثمرٌ، ففرحوا به، ثم حُزنَهم لاضمحلالِ هذه النّباتاتِ وزوالِها، يُشبِهُ إعجابَ النَّاس وابتهاجَهم بالحياةِ الدُّنيا وزينتِها وانشغالَهم بها عن الطّاعاتِ، ثمّ حُزنَهم عندَما يُوقنون أنّ هذه الدُّنيا فانيةٌ، وأنّهم محكومون بالموتِ، وينتظرون حسابَ ما قَدَّموا لأنفسِهم في الحياةِ الدُّنيا التي فَنِيَتْ وكانُوا يحسَبونها عامرةً.

---

(28) انظر: نَظْم الدُّرَر في تناسُب الآيات والسُّور، البِقاعيّ (ت885هـ-1480م)، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة. 103/9.

فهذا التَّشبيهُ يَضَعُ كُلَّ مفاتنِ الدُّنيا وزينتِها في ميزانِ الله إلى جانبِ قِيَمِ الآخرةِ، حيث تبدو قِيَمُ الأرضِ خفيفةَ الوزنِ، وتَرجُحُ كِفَّةُ الآخرةِ، وفي هذا التَّشبيهِ المؤثِّرِ تنويرٌ لطريقِهم لكي يرَوا الصِّراطَ المستقيمَ، ولا يَتيهوا في مسالكِ الضَّلال.

5- بلاغة التَّشبيه في مقام تصوير أعمال الكافرين:

تناوَلَ القرآنُ الكريمُ أعمالَ الكافرين في مَواضعَ كثيرةٍ، بَيَّنَ فيها أنَّ أعمالَهم باطلةٌ لاغيةٌ لا مَنْفَعَةَ تُرْجى منها، وهي مُحْبَطَةٌ مهما عظُمَت، تناولَها في بعضِ الآياتِ على الحقيقة؛ كما في قولِه: (وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [هود:16]، وقولِه: (وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [المائدة:5].

وفي آياتٍ أُخرَ صَوَّرَ البيانُ القرآنيُّ أعمالَ الكافرين من خلالِ أسلوب التَّشبيه؛ كقولِه تعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) [إبراهيم:18]. أي: «مَثَلُ أعمالِ الذين كَفروا بربِّهم كمَثَلِ رمادٍ»[29].

فهذا تشبيهٌ مُجمَلٌ، مِن تشبيه المعقول (أعمال الكافِرين) بالمحسوس (رماد تعصفُ به الرِّيحُ القويّة) فلا تدَعُ منه شيئاً. والجامعُ بين طرفَي التَّشبيه - كما يرى أبو هلال

(29) انظر: مجاز القرآن 338/1.

العسكريّ (ت395هـ-1005م) - هو «بُعْدُ التَّلاقي، وعَدَمُ الانتفاع»[30]، وقد شبَّهَ الله تعالى أعمالَهم بذلك؛ لأنّه يُبْطِلُها ويَمْحَقُها.

ولكنْ، كانَ بوُسْعِ البيانِ الإلهيِّ القولُ: (إنَّ أعمالَ الكافرين مُبطَلَةٌ)، وهذه العبارةُ الموجَزةُ تُفيدُ معنى الآيةِ عينَه، فلماذا آثَرَ القرآنُ الكريمُ هذا التَّشبيهَ؟

رُبَّما لأنَّ الذِّهْنَ الإنسانيَّ عامّةً، والقديمَ خاصَّةً، يجدُ سُهولةً في إدراكِ الأشياءِ المحسوسةِ أكثرَ من فهم المفاهيم المجرَّدة، ولاريبَ في أنَّ هذه الصُّورةَ حِسّيّةٌ وقريبةٌ من الذِّهْنِ الإنسانيِّ، وخاصّةً من حياةِ أولئك الأعراب الذين نزلَ عليهم القرآنُ الكريم وهم يسكنون الصَّحراءَ، ويرَون الرَّماد عادةً بعدَ انخمادِ النَّار، ويرون الرّياحَ القويّةَ تلعبُ في الأجواءِ وتُطَيِّرُ الرَّمادَ حتَّى يصبحَ كالهباءِ المنثورِ، ويضيعَ في الجوِّ ولا يبقى منه أيُّ شيءٍ.

إنَّ هذه الصُّورةَ التي أَخرجَتْ ما لا يقعُ عليه الحِسُّ إلى ما يقعُ عليه، ووصفَتْ ضياعَ أعمالِ الكافرين وتبخُّرَها، تجعلُ المتلقِّيَ يؤمنُ يَقِيناً بأنَّ عاقبةَ الكُفرِ الخُسرانُ، وأنَّ حياةَ الكافرِ سوف تذهبُ سُدىً، وكما أنَّ هذا الرَّمادَ - وهو رمادٌ مُحترِقٌ لا تتعلَّقُ به الآمالُ أصلاً - ضاعَ في الهواءِ وأصبحَ الإمساكُ به مُستحيلاً؛ فإنَّ الكُفّارَ أيضاً لا يَقْدِرون على ثوابِ شيءٍ ممّا عملُوا في الدُّنيا، ولا ينفعُهم؛ لأنّهم اتَّخذوا أهواءَهم آلهةً من دون الله، وعملُوا بأهوائهم، لا بنورِ الإيمان، فجاءَتْ ريحُ الهوى لتَنسِفَ عملَهم وتهوي

---

(30) انظر: كتاب الصّناعتين، أبو هلال العسكريّ (ت395هـ-1005م)، تحقيق: محمّد البجّاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة - بيروت، 1419هـ. ص240.

بهم في النّار، وهذا المشهدُ العاصفُ المتحرِّكُ يستطيعُ أنْ يُقنِعَ المتلقِّيَ بضياع أعمال الكافرِ وذهابِها هباءً، ويستطيعُ أنْ يُؤثِّرَ في تفكيرِ المتلقِّي ويؤكِّدَ له أنَّ الاهتمامَ لا يكونُ بالعملِ بل في باعِثِه ونيّتِه وغايتِه، ويستطيعُ أن يُحرِّك عواطفَ هذا المتلقِّي بدرجةٍ عاليةٍ لا يَبلغُها التَّعبيرُ الذِّهنيُّ المجرَّدُ.

فهذا التَّشبيهُ يجعلُ المَعانيَ تتفاعلُ مع نفسِ المتلقِّي، وتُعطيه الفرصةَ لكي يرسمَ في خيالِه الصُّورة المعبِّرةَ عن المعنى القرآنيِّ، وهذا يساعدُ المقاصدَ القرآنيّةَ على الاستقرارِ في قلبِ المتلقِّي؛ لأنَّها لم تَرِدْ إليه عن طريقِ المفهوم الذِّهنيّ فقط، بل وردتْ من مَنْفَذِ العين أيضاً، فيكونُ المعنى أوضحَ وآكَدَ في نفسِه، ومثلُه قولُه تعالى: (وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) [الفرقان:23]، الهَباء: الغُبار المفرَّق الذي يُرى عندَ دخول ضوءِ الشَّمسِ إلى المكان.

وقد صوَّر البيانُ القرآنيُّ أعمالَ الكافرين أيضاً بقولِه تعالى: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) [النّور: 39-40]. القِيْعَة: جمع قاع، والقاعُ من الأرض:

الأرضُ المُنْبَسِطة التي لانَبْتَ فيها[31]، السَّرابُ: شُعاع يُرى في القاعِ مُنتصَفَ النَّهارِ في شِدّة الحَرِّ، وهو يُشْبِهُ الماءَ الجاريَ[32].

فهذا أيضاً تشبيهٌ تمثيليٌّ، يُشبِّهُ المعقولَ «أَعْمَالُهُمْ» بمُشبَّهٍ به محسوسٍ هو «سَرَاب بِقِيعَةٍ»، والكافُ أداةُ التَّشبيه، وأمّا وجهُ الشَّبَهِ فهو هيئةٌ مُنتزَعةٌ من صورٍ مُتعدِّدةٍ يُشيرُ إليها قولُه تعالى: «يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً». والمشبَّهُ به «سَرَاب بِقِيعَةٍ» مُستقىً من البيئةِ الصَّحراويَّةِ التي يحيا بها الأعرابُ القدماءُ الذين نزلَ عليهم القرآنُ الكريم.

فالمتلقِّي الآنَ أمامَ صورةِ سَرابٍ يتوهَّمُه العطشانُ من بعيدٍ ماءً، لكنَّ العطشانَ عندَما يأتي موضعَ السَّرابِ يستغيثُ به من شِدّةِ عَطَشِه، لا يجدُ منه شيئاً، ويُوقِنُ أنَّه كانَ وَهْماً وسَراباً خادعاً. وكذلك الكافرُ أيضاً يحسَبُ أنَّ عملَه الجيّدَ – كإكرامِ الضَّيفِ أو نفعِ الجارِ أو الوفاءِ للصَّديقِ مثلاً – ينفعُه، ولكنْ عندما يموتُ، ويلقى ربَّه، ويَحتاجُ إلى عملِه، لا يجدُ في ميزانِه أيّاً من تلك الأعمالِ التي كانَ يظنُّها شفيعةً له، بل يُحاسبُه اللهُ تعالى ويُجازيه على كُفرِه.

وقد أجادَ أبو الحسَنِ القَيْرَوانيُّ (ت479هـ-1086م) عندَما قال: «وهذا من التَّشبيهِ المُعْجِزِ؛ لأنَّه تشبيهُ ما لَهُ حقيقةٌ بما ليس له حقيقةٌ؛ لمّا كانَ عاقبةُ ما له حقيقةٌ

---

(31) انظر: معاني القرآن للفَرّاء 254/2.

(32) انظر: تفسير الجلالين ص465.

إلى لا شيء» [33]، وقد تنبَّهَ الطَّاهرُ بنُ عاشورٍ (ت1393هـ-1973م) إلى الثَّراءِ البيانيّ في هذا التّشبيهِ؛ إذْ قال: «واعلَمْ أنَّ هذا التَّمثيلَ العجيبَ صالحٌ لتفريقِ أجزائِه في التَّشبيهِ؛ بأنْ يَنْحَلَّ إلى تشبيهاتٍ واستعاراتٍ: فأعمالُ الكافرينَ شبيهةٌ بالسَّرابِ في أنّ لها صورةَ الماءِ وليست بماءٍ. والكافرُ يُشبهُ الظَّمآنَ في الاحتياجِ إلى الانتفاعِ بعملِه؛ ففي قوله: (يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ) استعارةٌ مُصَرِّحَةٌ. وخَيْبَةُ الكافرِ عندَ الحسابِ تُشْبِهُ خَيْبَةَ الظَّمْآنِ عند مَجِيئِه السَّرابَ؛ ففيهِ استعارةٌ مُصَرِّحَةٌ. ومفاجأةُ الكافرِ بالأخْذِ والعَتْلِ مِن جُنْدِ اللَّهِ أو بتكوينِ اللَّهِ تُشْبِهُ مُفاجأةَ مَن حَسِبَ أنّهُ يَبْلُغُ الماءَ للشّرابِ فبلغَ إلى حيثُ تحقَّقَ أنّه لا ماءَ، فوجدَ عندَ الموضِعِ الذي بلغَه مَن يترصَّدُ له؛ لِأَخْذِه أو أَسْرِه، فهُنا استعارةٌ مَكْنِيَّةٌ؛ إذْ شَبَّهَ أَمْرَ اللَّهِ أو مَلائِكتَهُ بالعَدُوِّ، ورَمزَ إلى العدوِّ بقوله: (فَوَفَّاهُ حِسابَهُ)» [34].

وفي الموضعِ نفسِه تمثيلٌ آخرُ لأعمالِ الكافرين: (أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) [النّور:40]، لُجِّيٌّ: عميقٌ، بعيدُ القَعْرِ، كثير الماء [35]، يَغْشاهُ، يَعْلُوهُ ويُغَطِّيه.

---

(33) انظر: النُّكَت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، أبو الحسَن القيروانيّ (ت479هـ-1086م)، تحقيق: د. عبد الله الطويل، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط1، 2007م. ص360.

(34) انظر: التّحرير والتّنوير 254/18.

(35) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الواحديّ (ت468هـ-1076م)، تحقيق: صفوان عدنان داوووديّ، دار القلم - دمشق، ط1، 1415هـ. ص766.

فهذا تشبيه تمثيليّ، يُصوِّرُ أيضاً حال الكافرين وأعمالَهم، ولإيضاحِ التَّشبيه نتذكَّرُ أنَّ البحرَ اللُّجِّيَّ العميقَ يكونُ قَعْرُه مُظْلِماً جِدّاً بسببِ غُمُورةِ الماءِ فوقَه، فإذا ترادَفَتْ عليه الأمواجُ ازدادَتْ ظُلمتُه، فإذا كانَ فوقَ الأمواجِ سحابٌ يُغطِّي وجهَ الشَّمسِ بلغَتْ الظُّلْمَةُ حَدَّها الأقصى، ولمّا كانت العادةُ في اليدِ أنَّها من أقربِ ما يراهُ الإنسانُ، قال تعالى: «لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا» إطناباً وزيادةَ تأكيدٍ لظُلمةِ ذاك القَعْرِ، ثُمّ شُبِّهَت هذه الظُّلمةُ الشديدةُ جِدّاً بحالِ الكافرِ وأعمالِه[36].

ولكنْ لو نظرْنا في صُوَرِ القرآن الكريم لوجدْنا أنَّ البيانَ القرآنيّ دوماً يُشبِّهُ الإيمانَ والمؤمنين بالنُّورِ، ويُشبِّهُ الكُفْرَ والكافرين بالظَّلامِ، ومن ذلك قولُه تعالى: (اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ) [البقرة:257]، وقوله: (الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) [إبراهيم:1]، وقوله: (وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ) [فاطر: 19-20].

وفي هذه الصُّورةِ أيضاً شبَّهَ البيانُ القرآنيُّ أحوالَ الكُفّار واعتقادَهم بالظَّلامِ، ولكنَّ الصُّورةَ بلغَتْ نهايةَ ما يُتَصَوَّرُ من اشتدادِ الظُّلمةِ، وكأنَّ في هذه الآيةِ تشبيهاً خَفِيّاً، هو تشبيهُ نورِ الهدايةِ والإسلامِ بالشَّمسِ المشرقةِ السَّاطعةِ التي تُنيرُ الكونَ وتُنيرُ للنَّاسِ حياتَهم وطريقَهم، ولكنَّ هذا الكافرَ يرفُضُ النُّورَ، ويختبئُ في مكانٍ بعيدٍ تحجبُه عن الشَّمسِ أستارٌ كثيفةٌ، يحجبُه عن النُّورِ قَعْرُ بحرٍ مُظلِمٌ، ثُمَّ أمواجٌ، ثُمَّ غيومٌ تحجُبُ نورَ الشَّمسِ، فهذه أَتَمُّ أوصافِ الظُّلمةِ. كذلك هو حالُ الكافرِ الذي على عيونِه غشاوةٌ،

---

(36) انظر: مفاتيح الغيب 400/24.

وعلى سَمْعِه غِشاوةٌ، وعلى قلبِه غشاوة؛ فهو لا يريدُ أنْ يَرى نورَ الحقِّ، ولا يريدُ أن يسمعَ صوتَ الحقِّ، ولا يريدُ أنْ يهتديَ بدلائلِ الحقِّ، لأنَّ ظُلماتِ قلبِه أعمَتْ بصيرتَه.

وقد تنوَّعت اجتهاداتُ المفسِّرين في تحديد المشبَّهِ والمشبَّهِ به في هذا التَّشبيهِ؛ فقد ذكَرَ الطَّبريُّ (ت310هـ-923م) وغيرُه عن ابنِ عبَّاس (ت68هـ-687م) قولَه: «فجَعَلَ الظُّلُماتِ مَثَلاً لأعمالِهم، والبحرَ اللُّجِّيَّ مَثَلاً لقلْبِ الكافرِ»[37]، وأمَّا الفرَّاءُ (ت207هـ-822م) فجعلَ الظُّلُماتِ مَثَلاً لقلبِ الكافرِ[38]، وجاء في تفسير أبي إسحاق الثَّعالبيّ (ت427هـ- 1035م): «قال المفسِّرون: أرادَ بالظُّلُماتِ أعمالَ الكافرِ، وبالبحرِ اللُّجِّيِّ قلبَه، وبالموجِ ما يغشى قلبَه من الجهلِ والشَّكِّ والحَيْرَةِ، وبالسَّحابِ الرَّيْنَ والخَتْمَ والطَّبْعَ على قلبِه»[39]، وتبعَه الواحديُّ (ت468هـ-1076م)[40] وآخرون، بينما جعلَ الزَّمخشريُّ (ت538هـ-1143م) أعمالَ الكافرين مُشبَّهاً وكلَّ الصُّورِ الأُخرى من الظُّلُماتِ والبحرِ مُشبَّهاً به؛ بقولِه: «وشَبَّهَها [أعمال الكافرين] في ظُلمتِها وسوادِها لكونها باطلةً، وفي خُلُوِّها عن نورِ الحقِّ بظُلُماتٍ مُتراكِمةٍ من لجِّ البحرِ والأمواجِ والسَّحابِ»[41].

---

(37) انظر: تفسير الطَّبريّ 197/19، وتفسير القرآن العظيم، لابن أبي حاتم (ت327هـ-938م)، تحقيق: أسعد محمّد الطّيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السُّعوديّة، ط3، 1419هـ. 2613/8.

(38) انظر: معاني القُرآن للفرّاء 255/2.

(39) انظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق الثَّعالبيّ (ت427هـ-1035م)، تحقيق: أبي محمّد بن عاشور، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ط1، 2002م. 111/7.

(40) انظر: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ص766.

(41) انظر: الكشّاف 244/3.

أمّا أبو عليّ الفارسيّ (ت377هـ-987م) فذهب إلى أنَّ المشبَّه هو (ذو ظُلُمات) على تقديرِ حذفِ المضافِ بقولِه: «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ»؛ معناه: أو كذي ظُلُماتٍ، ويدلُّ على حَذْفِ المضافِ قولُه: «إذا أَخْرَجَ يَدَهُ لم يَكَدْ يَرَاها»، فالضَّميرُ الذي أُضيفَ إليه (يدِه) يعودُ إلى المضافِ المحذوفِ، ومعنى ذي ظُلُمات: أنّه في ظُلُمات. ومِثلُ حذفِ المضافِ هنا حذفُه في قوله: «أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ» [البقرة:19] فتقديره: أو كذوي صَيِّبٍ مِن السَّماء، أو أصحابِ صَيِّبٍ، فحُذِفَ المضافُ كما حُذِفَ من قوله: أو كظلمات»[42]، وتبعَه بعضُهم كالباقُوليّ (ت543هـ-1149م) [43]، وابن مالك (ت672هـ-1274م)[44].

وقد تنوَّعَتِ الأقوالُ في تأويلِ هذه الظُّلُماتِ، فقيلَ: الكافرُ «كلامُه ظُلمةٌ، وعَمَلُه ظُلْمَةٌ، ومَدْخَلُه ظلمةٌ، ومَخْرَجُه ظُلمةٌ، ومصيرُه إلى الظُّلُمات يومَ القيامةِ إلى النَّار»[45]، وقيل: «الظُّلُماتُ ثَلاثُ ظُلُماتٍ: ظُلْمةُ اللَّيلِ، وظُلمةُ البحرِ، وظلمةُ السَّحابِ، وكذلك قلبُ الكافرِ ثلاثُ ظُلُماتٍ، ظلمةُ القلبِ، وظلمةُ الصَّدرِ، وظلمةُ الجوفِ»[46]، وقيل: «الكافرُ: قلبُه مُظلِمٌ، في صدرٍ مُظلِم، في جسدٍ مُظلِم. قلبُه

---

(42) انظر: الحُجّة للقُرّاء السَّبعة، أبو عليّ الفارسيّ (ت377هـ-987م)، تحقيق: بدر الدّين قهوجي - بشير جويجابي، دار المأمون للتّراث - دمشق، ط2، 1993م. 329/5.

(43) انظر: إعراب القرآن المنسوب خطأً للزّجّاج، جامع العلوم الأصفهانيّ الباقوليّ (ت543هـ-1149م)، تحقيق: إبراهيم الأبياريّ، دار الكتاب المصريّ – القاهرة، ط4، 1420هـ. 61/1.

(44) انظر: شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك (ت672هـ-1274م)، تحقيق: د. عبد الرّحمن السّيّد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر، ط1، 1990م. 265/3.

(45) انظر: تفسير الطَّبريّ 198/19.

(46) انظر: تفسير ابن أبي حاتم 2615/8.

بالشِّرْكِ، وصدرُه بالكُفرِ، وجسدُه بالشَّكِّ. وهو النِّفاق»[47]، وقيل: «يريدُ: أنّه في حَيْرَةٍ مِن كُفرِهِ كهذه الظُّلُماتِ»[48]، وقيل غيرُ ذلك.

ويبقى هناك سؤالٌ مُهِمٌّ يُراوِدُ المتلقّيَ: ما الحكمةُ البلاغيّةُ من تكرُّرِ تشبيهِ أعمالِ الكافرين مرَّتين على التَّخيير: «كَسَرَابٍ بِقِيْعَةٍ» أو «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ»؟ وكيف هذا الانتقالُ بالمتلقّي من أقاصي الصَّحراء إلى أعماق البِحار؟ وقد اجتهدَ المفسِّرون في بيانِ ذلك؛ وتنوَّعت أقوالُهم، فقال ابنُ عاشور (ت1393هـ-1973م): «شَأْنُ (أو) إذا جاءَتْ في عطفِ التّشبيهاتِ أنْ تَدُلَّ على تخييرِ السّامعِ أنْ يُشَبِّهَ بما قبلَها وبما بعدَها»[49]، لكنَّ الرَّازيَّ (ت606هـ-1209م) أَجمَلَ آراءَ العلماءِ بقولِه: «وفي لفظة (أو) ههنا وجوهٌ: أحدُها: أنّ اللّهَ تعالى بَيَّنَ أنّ أعمالَ الكُفّارِ إنْ كانَتْ حَسَنَةً فمَثَلُها السَّرابُ، وإنْ كانتْ قَبيحةً فهي الظُّلُماتُ. وثانيها: تقديرُ الكلامِ أنّ أعمالَهم إمّا كسَرابٍ بِقِيعَةٍ وذلك في الآخِرةِ، وإمّا كظُلُماتٍ في بحرٍ وذلك في الدُّنيا. وثالثُها: الآيةُ الأُولى في ذِكْرِ أعمالِهم وأنَّهم لا يَتَحَصَّلون منها على شيءٍ، والآيةُ الثّانيةُ في ذكرِ عقائدِهم فإنّها تُشْبِهُ الظُّلماتِ؛ كما قال: (يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ) [البقرة:257] أي: مِن الكُفرِ إلى الإيمان؛ يدلُّ عليه قولُه تعالى: (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ) [النور:40]»[50].

---

(47) انظر: التّصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهَت أسماؤه وتصرّفت معانيه، يحيى بن سَلّام القيروانيّ (ت200هـ-815م)، تحقيق: هند شلبيّ، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، ط1، 1979م. ص210.

(48) انظر: تأويل مُشكِل القرآن ص198.

(49) انظر: التّحرير والتّنوير 254/18.

(50) انظر: مفاتيح الغيب 400/24.

ولو نظرْنا في عناصرِ تلك التَّشبيهاتِ التي صَوَّرَتْ أعمالَ الكافرين؛ لرأينا أنَّها: الرَّماد، والسَّراب، والظُّلمات، والقِيْعة، والبحر اللُّجّيّ المظلِم، وتعاقُب الأمواجِ العالية، والرّيح، واليوم العاصف، والهباء المنثور...، وهذه الألفاظُ كلُّها يجمعُها معنًى عامٌّ هو فَناءُ هذه الأعمالِ وتلاشيها واضمحلالُها وبُطلانُها، وأنَّها لا حقيقة لها ولا وجودَ في الآخرة، ولا منفعةَ تُرجى من ورائها، فالرَّمادُ مثلاً يدلُّ على عمليّةِ الاحتراق، فكأنَّ أعمالَهم حُرِقَتْ حرقاً بسبب كُفرِهم، ثُمَّ إنَّ في الرَّمادِ إيماءً إلى عذاب الحريقِ، وأمَّا الظُّلمةُ فتُناسبُ الغِشاوةَ التي على قلوبهم وأبصارِهم وتمنعهم في الدنيا من الانقياد وراءَ الحقّ، وتُناسِبُ ظلمةَ العذابِ والخوفِ والهَوَلِ التي سيلقونَها في الآخرةِ جزاءً بما كفروا، وهذا من شأنِه إدخالُ الخوفِ في نفسِ الكافرِ حتَّى يتَّعِظَ بهذه الآيةِ إن كانَ يبحثُ حقّاً عن الحقّ.

ما أردنا قولَه باختصار: إنَّ هذه التَّشبيهاتِ كانَ لها ظِلالٌ نفسيّةٌ تُؤثِّرُ في نفسِ المتلقّي وعقلِه تأثيراً أعمقَ من تأثيرِ الكلامِ الخالي من التّشبيهِ والصُّورةِ، ومع ذلك فقد عبَّرَتْ كلُّ هذه التّشبيهاتِ عن مَقْصِدٍ قرآنيٍّ واحدٍ؛ وهو عدمُ انتفاعِ الكافرِ بعملِه الجيّد في حالِ وُجودِ الشِّرْكِ والكُفرِ، وقد تمايَزَتْ هذه التَّشبيهاتُ فيما بينَها بما يتوافقُ مع السِّياقِ والسِّباقِ لكلٍّ منها.

6- بلاغة التَّشبيه في مقام تصوير أحوال الخَلْقِ عندَ البَعْثِ:

أفاضَ القرآنُ الكريمُ في الحديثِ عن أحوالِ النَّاس يومَ القيامةِ، مُصوِّراً البعثَ والنُّشورَ بطريقِ الحقيقةِ أحياناً، وبطريقِ التَّمثيل أحياناً أُخرى، فمِن تصوير البعثِ بطريقِ الحقيقة قولُه تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا

تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [الحجّ:1-2] فالآيتانِ تُصوِّرانِ هَوْلَ القيامةِ وفظاعتَها وأثرَها المُفزِعَ في قلوب البشَرِ، إنَّه مشهدٌ رهيبٌ؛ فالنَّاسُ يكونون كالسُّكارى، ويَذهَلُ النّاسُ عن كلِّ ما أحبُّوه وتعلَّقوا به وحرَصُوا عليه في دُنياهم، حتَّى الأمُّ الحنونُ تَذْهَلُ عن رضيعِها وتتخلَّى عنه لشدّة خوفِها، بل إنَّ المرأةَ الحاملَ تضعُ حملَها من جَزَعِها ورُعبِها. ومِن تصويرِ مَشاهدِ البعث بطريق الحقيقةِ قولُه تعالى: (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) [الكهف:48] أي عُدْتُم عُراةً حُفاةً تركتُم وراءَكم كُلَّ أموالِكم وأولادِكم ومَقاماتِكم وألبستِكم وعلومِكم وجئتُم بقلوبِكم ليُرى ما فيها من إيمانٍ أو كُفرٍ. هذان مشهدان من تصويرِ أحوالِ البعث على الحقيقة.

وأمَّا صورُ القيامةِ على التَّمثيلِ فمنها قولُه تعالى: (الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ) [القارعة:1-5]، تبدأُ السُّورةُ بالاستفهامِ عن تلك المصيبةِ الكُبرى وهي يومُ الحَشْر، ويتكرَّرُ الاستفهامُ مرَّتين للتَّهويلِ والتَّعظيمِ، ويتكرَّرُ لفظُ «القَارِعَةُ» ثلاثَ مرّاتٍ مع ما تُوحيه نَغْمَتُه الموسيقيّةُ من الهَوْلِ والرَّهَبوت، وكأنَّها قذيفةٌ تقرَعُ أسماعَ المتلقِّين؛ لتوقِظَ قلوبَهم النّائمةَ الغافلةَ عن يومِ الحسابِ، ثُمَّ يأتي الجوابُ عن القارعة بأسلوبِ التَّشبيه: «يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ» أي: يومَ تكونُ القارعةُ يُصبحُ النَّاسُ

كحشراتِ الفَراشِ الكثيرِ المتفرِّق في الهواء، «وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ» أي: كالصُّوفِ المصبوغِ المَندوف[51].

فنحنُ أمامَ تشبيهَين مُجمَلينِ يُصوِّرانِ خروجَ النَّاسِ من قُبورِهم وانتشارَهم وكثرَتَهم كالفَراشِ الضَّئيلِ المبثوثِ هنا وهناك وهو يتهافَتُ في الهلاك، ويُصوِّرُ الجبالَ – وقد كانت ثابتةً راسخةً – كيفَ تنفجرُ إلى قطعٍ صغيرةٍ تتطايَرُ كالصُّوفِ المنفوش في الخِفّة والوَهنِ؛ إذْ أَوهنُ ما يكونُ الصُّوف وهو منفوشٌ.

ولنتأمَّلْ كيفَ جمَعَ البيانُ القرآنيُّ بينَ النَّاسِ والجبالِ في هذا المشهد الذي يَقرعُ القلوبَ بهولِه؛ إشارةً إلى أنَّ تأثيرَ القارعةِ في الجبالِ الصُّلبةِ القويّة يكونُ هكذا، فما عساهُ يكونُ في الإنسان الضَّعيف! وقد نبّه الرّازيُّ (ت606هـ-1209م) على ذلك بقولِه: «إنّما ضَمَّ بينَ حالِ النَّاسِ وبينَ حالِ الجبالِ؛ كأنَّه تعالى نبَّهَ على أنَّ تأثيرَ تلك القَرْعةِ في الجبالِ أنّها صارَت كالعِهْنِ المنفوشِ، فكيف بالإنسانِ عندَ سماعِها! فالويلُ ثُمّ الويلُ لابن آدَمَ إنْ لم تَتَدارَكْهُ رَحْمَةُ رَبِّه»[52].

وقد شبَّهَ النَّاسَ بالفَراشِ المبثوثِ في الجوّ، وهي حَشَراتٌ صغيرةٌ جدّاً مثل البَعُوض، تتهافتُ في النَّار[53]، ولا يزالُ الفَراشُ يقتحمُ على المصباحِ ونحوِه حتّى

---

(51) انظر: تفسير الجلالين ص819.

(52) انظر: مفاتيح الغيب 276/32.

(53) انظر: لسان العرب (فرش).

يحترقَ[54]، وقد رُوي عنه صلّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «إنَّما مَثَلي ومَثَلُ النّاسِ كمَثَلِ رَجُلٍ استوقَدَ ناراً، فلَمّا أَضاءَتْ ما حولَهُ جَعلَ الفَراشُ وهذه الدَّوابُّ التي تقعُ في النّارِ يَقَعْنَ فيها، فجَعلَ يَنْزِعُهُنَّ ويَغْلِبْنَهُ فيَقْتَحِمنَ فيها، فأنا آخُذُ بِحُجَزِكُم عن النّارِ، وهم يَقْتَحِمُونَ فيها»[55]، ومعلومٌ في العُرْفِ العربيّ أنَّ الفَراشَ رمزُ الضّعف، ومن ضربِ مَثَلِهم: «أَضْعَف من فَراشةٍ» [56].

والبيانُ القرآنيّ شبَّهَ حالَ النَّاسِ في يومِ القيامةِ بالفَراش المبثوثِ؛ ولكنَّه لم يذكُرْ وجهَ شبَهٍ مُحدَّداً بينهما، ولعلَّ هذا أبلغُ؛ لكي تتفكَّرَ عقولُنا في هذه الصُّورة، ونستنتجَ نحنُ أوجهَ الشَّبه؛ لتذهبَ نفوسُ المتلقِّين كُلَّ مذهبٍ في استكشافِ وجهِ الشَّبهِ الجامعِ بين النَّاس والفراشِ يوم القيامة، وهذا يدعو العقلَ إلى التّفكُّرِ والتّأمُّلِ والتَّدبُّرِ، كما أنَّ هذا التَّفكُّرَ يعطي القيامةَ تهويلاً وتعظيماً؛ لأنَّ العقلَ سيستدعي كُلَّ صفاتِ الفَراش من الضّعفِ والخِفّة والتَّهافُت في النَّار وينسُبُها إلى نفْسِه، فيشعرُ أنَّه أضعفُ مِن أيِّ ضعيفٍ، وفي الوقتِ نفسِه سيتذكَّرُ مشاهدَ القيامةِ وما فيها مِن قُدرة الله وعظمته وجبروته.

ولو اجتهدنا في معرفة وجه الشَّبه، لقلنا: ربّما أرادَ بالفَراشِ المبثوثِ الإشارةَ إلى كثرتهم وتموُّجِهم في بعضِهم؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ

---

(54) انظر: المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 516/5.

(55) انظر: صحيح البُخاريّ (ت256هـ-870م)، تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النَّجاة، السّعوديّة، ط1، 1422هـ. 102/8 – برقم 6483.

(56) انظر: جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكريّ (ت395هـ-1005م)، دار الفكر – بيروت. 3/2.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا) [الكهف:99]، وقال الفَرَّاء (ت207هـ-822م): «يريد: كغَوْغاء الجرادِ؛ يَرْكَبُ بعضُه بعضاً، كذلك النّاسُ يومئذٍ يجولُ بعضُهم في بعضٍ»[57]. وربَّما أرادَ أن يستعيرَ من الفراشِ صفةَ تهافُتِه في النَّار كي يرمُزَ إلى تهافُت الكافرين في نارِ جهنَّمَ يومَ القيامةِ. ويُقوّي هذا الظَّنَّ ما ذهَبَ إليه الماورديُّ (ت450هـ-1058م) إذ عَدَّ الفَراشَ المبثوث تشبيهاً للكافرين فقط؛ بقولِه: «وإنَّما شُبِّهَ النّاسُ الكُفّارُ يومَ القيامةِ بالفَراشِ المبثوثِ؛ لأنّهم يَتهافتون في النّار كتهافُتِ الفَراشِ»[58].

وربَّما يكونُ هذا التَّشبيهُ تعريضاً بكلِّ مَن يُخالفُ الشَّرعَ؛ فكما أنَّ الفراشَ يتهافَتُ في النّارِ ويُصِرُّ على إحراقِ نفسِه فيها؛ فكذلك الخارجُ عن طاعةِ اللهِ يُخالفُ كتابَ الله وسُنَّةَ نبيِّه ويُصرُّ على إحراقِ نفسِه في نارِ جهنَّمَ، فهو يُشارِك الفراشةَ في الحماقةِ التي تدفعُها إلى الإصرارِ على إحراقِ نفسِها.

وربَّما يُشيرُ تشبيهُ البشَرِ بالفَراشِ إلى ضَعفِهم ووَهْنِهم وذِلَّتِهم، وقد أجمَلَ الزَّمخشريُّ (ت538هـ-1143م) كثيراً من ظنوننا بقولِه: «شَبَّهَهُم بالفَراشِ في الكَثْرةِ

---

(57) انظر: معاني القرآن للفرّاء 286/3.

(58) انظر: تفسير الماورديّ (النُّكَت والعيون)، الماورديّ (ت450هـ-1058م)، تحقيق: السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة – بيروت، لبنان. 328/6.

والانتشارِ والضَّعفِ والذِّلَّة، والتَّطايُرِ إلى الدّاعي مِن كُلِّ جانبٍ؛ كما يتطايَرُ الفَراشُ إلى النّار»[59].

ثمَّ إنَّ النّاسَ يومَ الحِسابِ يكونون كثيرين بأعدادٍ هائلةٍ ومتفرِّقين – كالفراش المبثوث في الجوّ – لا يعرفون وِجهتَهم هل سيُذهَبُ بهم إلى الجنّة أو النَّار؟ وهذا يُفيدُ بأنَّ شعورَ الذُّعرِ والحَيْرَةِ يَستبدُّ بقلوبهم الخائفةِ المترقِّبة لنتيجةِ الحِساب، وفي هذا التَّشبيه أيضاً معنى تعظيمِ الله تعالى، وتعظيم يوم القيامة، وبيانُ هوانِ الإنسانِ وضعفِه يومَ الحساب، وكأنَّ هذا التَّشبيهَ دعوةٌ للمتلقِّي إلى تركِ التَّكبُّرِ والجبروتِ ومعانَدةِ الحقّ؛ لأنّ الإنسانَ مهما تكبَّرَ في الدُّنيا وتجبَّرَ؛ فإنَّ عاقبتَه في الآخرة كحَشَرةٍ صغيرةٍ جدّاً في الجوّ لا تملكُ مصيرَها ولا تدري أين يُذهَبُ بها، بل ربَّما نَسمةُ هواءٍ بسيطةٍ تأخذُها معها، وخاصّةً أنَّ الجبالَ القويّةَ الهائلةَ الحجمِ والوزنِ تتطايرُ صخورُها في الهواء كأنَّها صوفٌ خفيفٌ، فإذا كانَ الجبلُ العظيمُ عاجزاً أمامَ قُدرة الله، ويتفجَّرُ ويتهدَّمُ ويُسوَّى بالأرضِ، ويُصبحُ هيِّناً خفيفاً تعبثُ به نسائمُ الرِّيح فتُطيِّرُه كالغُبارِ؛ من هولِ القارعةِ، فهل تستطيعُ تلك الحشرةُ الضَّعيفةُ أن تَنْصُرَ نفسَها.

حقّاً! إنَّها صورةٌ بليغةٌ مؤثِّرةٌ مُعبِّرةٌ تَظهرُ فيها عظمةُ الخالقِ، وقدرتُه على الكونِ الكبيرِ وعلى الإنسانِ، كما يظهرُ فيها ضعفُ الطَّبيعة، وضعفُ الإنسانِ، وفي هذه الصُّورة تبرزُ أيضاً المفارَقاتُ العجيبةُ، فالكافرُ في الدُّنيا يتكبَّرُ ويتجبَّرُ ويتعجرَفُ ويرفضُ

---

(59) انظر: الكشّاف 789/4.

الحقَّ ويُنكرُ البعثَ، وأمَّا في الآخرةِ فتختلفُ الصُّورةُ، ويكونُ مثلَ حشرةٍ صغيرةٍ في الهواءِ تتطايرُ حولَها الجبالُ والصُّخورُ، وتثورُ العواصفُ، وهي مذعورةٌ تتجاذبُها الرِّياحُ، حائرةٌ لا تدري أين يُرمَى بها.

والمفارَقةُ الثَّانيةُ بينَ الجبلِ الذي يُعرَفُ في الذِّهنِ الإنسانيِّ عامّةً أنَّه رمزُ القوّةِ والثَّباتِ وبينَ الحشَرةِ التي تُعرف بحقارةِ القَدْرِ، وضعفِ الأَثَرِ، فكأنَّ هذه الصُّورةَ موجَّهةٌ للكافرِ تسألُه: إذا كان الجبلُ وهو أعظمُ من مئةِ ألفِ رجلٍ يتهاوى من خشيةِ الله ومن هولِ القيامة ويُصبحُ كالهَباء، فيكيفَ تَصنعُ أنت أيها الإنسانُ الضَّعيف المُعانِدُ!، إنَّه «مَشهدٌ تطيرُ له القلوبُ شَعاعاً، وترجُفُ منه الأوصالُ ارتجافاً، ويُحِسُّ السّامعُ كأنَّ كُلَّ شيءٍ يتشبَّثُ به في الأرضِ قد طارَ حولَه هباءً!»[60]. حقّاً إنَّها صورةٌ مُعبِّرةٌ لا يُمكنُ للشَّرحِ أن يفيَها حقَّها.

لكنْ عندَ تأمُّلِ هذه الصُّورةِ في سياقِها، يتقابلُ في الذِّهنِ مشهدُ الخِفَّةِ والتَّطايُرِ والاضطراب ومشهدُ الثِّقَلِ والرِّضا والطُّمأنينةِ؛ فيأتي قولُه تعالى: (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ) [القارعة:6-9]، فإنَّ الجبلَ على الرَّغمِ من ثِقَلِ وزنِه وعظمةِ حجمِه، وثباتِه ورُسوخه واستقراره في الدُّنيا يكونُ خفيفاً مُحتقَراً في الآخرة، يطيرُ بلا ثباتٍ ولا رُسوخٍ ولا استقرارٍ، وأمّا المؤمنُ فمهما كانَ خفيفاً

---

(60) انظر: في ظِلال القرآن، سيّد قطب (ت1385هـ-1966م)، دار الشروق – بيروت، ط17، 1412هـ. 3961/6.

على النّاسِ في الدُّنيا لكنّه في الآخرة ثقيلةٌ حسَناتُه يشعرُ بالثَّباتِ والاستقرارِ والرِّضا والطُّمأنينة، فالثِّقلُ والخِفَّةُ في الآخرةِ تكونُ باعتباراتِ الله تعالى لا باعتباراتنا الدُّنيويّة، وهذه الخاطرةُ تُذكِّرُنا بالصَّحابيّ الجليلِ عبد الله بن مسعود (ت32هـ-650م) رضي الله عنه، وقد كان نحيفاً قصيراً دقيقَ السّاقَين، وقد جاء في الحديث أنّ الرّسولَ صلّى الله عليه وسلَّم أمرَه أنْ يأتيَه بشيءٍ من ثمرِ شجرةٍ، فصَعِدَ الشَّجرةَ، فنظرَ بعضُ الحاضرين إلى دِقّةِ ساقِ عبد الله بن مسعود، وضحكَ، فقالَ صلّى الله عليه وسلَّم: «ما تَضحكونَ؟ لَرِجْلُ عبدِ اللَّهِ أَثْقَلُ في الميزانِ يومَ القيامةِ مِن أُحُدٍ»[61].

وفي موضعٍ آخرَ شبَّه القرآنُ النَّاسَ يومَ البعثِ بالجرادِ المنتشِر؛ بقولِه تعالى: (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ * خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ * مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ) [القمر:6-7]؛ نُكُر: مُنكَر غير معهود، الأجداث: القبور.

بالرُّجوعِ إلى سياقِ الآيةِ نرى اللهَ سبحانه يأمرُ نبيَّه بالإعراضِ عن مُجادلةِ هؤلاء الذين يُعرِضون عن آياتِ الله، ويُكذِّبون الرَّسولَ، ويتَّهمونه بالسِّحرِ، ويتَّبعون أهواءهم، ولا ينتهون عن عِنادِهم وكُفرِهم، بعد كلِّ الدَّلائل التي تؤكِّدُ لهم صدقَ الرَّسولِ صلّى الله عليه وسلّم، فالله يطلُبُ من رسولِه الإعراضَ عنهم؛ فإنَّهم لا تُفيدُهم النُّذُر، وفي طلبِ

---

(61) انظر: مُسند أحمد بن حنبل (ت241هـ-855م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسّسة الرّسالة، ط1، 2001م. 243/2 – برقم 920.

الإعراضِ عنهم إيماءٌ بأنَّ غضباً وعذاباً سَيَحِلُّ بهم، ولكنْ لكي نفهمَ الآيةَ فهماً صحيحاً ينبغي أنْ نُعلِّقَ الظَّرفَ «يومَ» حيثُ يَجِبُ، وهو الفعلُ «يَخْرُجُونَ»، والتَّقديرُ هكذا: يا مُحمَّد، تَوَلَّ عن هؤلاء الذين يُنكرون البعثَ؛ فإنَّهم يومَ يدعو الدَّاعي (إسرافيل) إلى البعثِ والحِساب يخرجون من قبورِهم أذِلّاءَ خائفين مُكتظِّين كالجرادِ المنتشِر، مُسْرِعِينَ مادِّينِ أَعناقَهم إلى هذا الدّاعي، ويقولون: هذا يومٌ صعبٌ علينا.

ولا ريبَ في أنَّ هذا التَّشبيهَ للنَّاس «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ» يرسمُ مشهداً رهيباً من مشاهد الحشر، فمئاتُ مليارات تخرجُ من قبورها في لحظةٍ واحدةٍ، كأنّها جرادٌ مُنتشِر، وهذه الجموعُ تُسرِع في سيرِها نحو الدَاعي، وهذا المشهدُ يدلُّ على معنى ضعف الإنسانِ يومَ القيامة، إضافةً إلى اتِّصافِه بالطّاعةِ وتلبية النِّداء والسُّرعةِ في تنفيذ الأوامر، بخلاف حالِ أكثرِ النَّاس العاصين في الدُّنيا. ولكنَّه يُفيدُ أيضاً معنى كثرةِ النَّاس واكتظاظِهم يومَ الحسابِ؛ لأنَّ الجَرادَ عادةً يكونُ بأعدادٍ هائلةٍ مُرعبةٍ، ويُفيدُ أيضاً اختلاطَهم في بعضٍ وتموُّجَهم وانتشارَهم في كلِّ مكان، «كما يُقال في الجيش الكثير المائجِ بعضُه في بعضٍ: جاؤوا كالجَراد»[62]، وهذا يرسمُ الصُّورة المهيبة ليومِ القيامة.

وقد اجتهدَ بعضُ المفسِّرين في التَّفريقِ بين التَّشبيهين «كالفَراشِ المبثوث» و«كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ»، ومنهم الرَّازيُّ (ت606هـ-1209م) بقوله: «أمّا التَّشْبِيهُ

(62) انظر: الكشّاف 432/4.

بالفَراشِ فبذهابِ كُلِّ واحدةٍ إلى غيرِ جهةِ الأُخرى، وأمّا بالجراد فبالكَثرةِ والتَّتابُعِ»[63]، يعني ربَّما المقصودُ أنَّهم إذا بُعِثوا فَزِعُوا بادئَ الأمرِ واختلفُوا في المقاصد على جهاتٍ مختلفةٍ غير معلومة في فَوضى وغَوغاء وتفرُّق كأنَّهم فَراشٌ مبثوث، وعندَما يعرفون وجهتهم ونتيجةَ حِسابِهم يتَّجهون إلى الجنّة أو النَّار كما يُؤمَرون كما تتّجهُ جموعُ الجَرادِ نحو مقصدٍ واحدٍ، وقد أشارَ إلى ذلك ابنُ عَطيّة (ت542هـ-1146م) بقولِه: «النّاسُ أوّلَ قيامِهم من القبورِ كالفَراشِ المبثوثِ؛ لأنّهم يجيئون ويذهبون على غير نظامٍ، يدعوهم الدّاعي فيتوجّهون إلى ناحيةِ المَحْشَرِ فهُم حينئذٍ كالجرادِ المنتشِر»[64].

الخاتمة:

إنَّ التَّشبيهَ في القرآنِ الكريم لم يكُن غايةً بلاغيّةً بحدِّ ذاتِه، بل كان وسيلةً فنيّةً لتوضيح المقصدِ القرآنيّ وتقريبِه إلى أذهان المتلقّين؛ لأنَّ الذِّهنَ البشريّ عامّةً يجدُ السهولةَ في إدراك الأشياء المحسوسة أكثر من المفاهيم المجرّدة. كما أنَّ التَّشبيه يتميزُ عن الحقيقة بأنَّه يجعلُ العبارةَ الواحدةَ متعدِّدةَ الفوائد والمعاني، فتدلُّ الألفاظُ اليسيرةُ على المعاني الكثيرةِ.

---

(63) انظر: مفاتيح الغيب 267/32.

(64) انظر: المُحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز 516/5.

ولكنَّ البيانَ القرآنيَّ كانَ يستعملُ التَّشبيهَ عندَما يكونُ التَّشبيهُ هو الأفضلُ للمقام، وأيضاً يستعملُ الحقيقة عندما تكونُ الحقيقةُ أنسبَ للمقام، وذاك لأنَّ لكلِّ مقامٍ مقالاً.

وقد امتازَ التّشبيهُ القرآنيّ بقدرته على تجسيدِ المعاني والأفكارِ وتشخيصِها حتّى يُخرجَها في صُوَرٍ محسوسةٍ مُدرَكةٍ, ترتسم أمامَ عينَي المتلقّي مشهداً متحرّكاً يخاطِبُ فيه مجموعةً من الحواسّ, ويجسّد له الفكرةَ المعنويّةَ العميقةَ في صورة مُتخيّلةٍ معايَنةٍ معروفةٍ, حتّى كأنّه يلمِسُها بيديه, أو يراها حيّةً أمامَ عينيه, فلا يملكُ إلا التأثُّر والاقتناع.

ونستطيعُ أنْ نصفَ تشبيهاتِ القرآن الكريم بأنَّها تُفيدُ الإيجازَ؛ لأنَّ التَّشبيهَ يكونُ في جملةٍ واحدةٍ ولكنَّه قد يُغني ببلاغتِه عن كلامٍ طويلٍ، ويُفيدُ أيضاً البيانَ والإيضاحَ وتقريبَ الفكرةِ إلى الأذهان، ويفيدُ المبالغةَ في توكيدِ المعنى وتعميقِه في نفسِ المتلقّي، ليكونَ وسيلةَ تأثيرٍ وإقناعٍ بمقاصدِ الشَّريعةِ.

ولكن نُوصي بأنْ تُدرَسَ تشبيهاتُ القرآنِ الكريم ضمنَ سياقاتِها المعنويّة والفنّيّة لنعرِفَ قيمتَها في جمال النّصّ القرآنيّ وأثرَها في إثراء معناه، وأمَّا دراسةُ تشبيهاتِ القرآنِ الكريمِ مبتورةً عن سياقاتِها ومقاماتِها فربّما ينفعُ في تعليمِ الطلابِ أركانَ التّشبيه وأحوالَه، ولكنّه قد لا يُثمرُ في دراسةِ بلاغةِ التَّشبيهِ القرآنيّ.

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1- ابن أبي حاتم، الرّازيّ (ت327هـ-938م)، (1419هـ)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمّد الطّيّب، مكتبة نزار مصطفى الباز - السُّعوديّة، ط3.

2- ابن الجَوزيّ، أبو الفرج (ت597هـ-1201م)، (1422هـ)، زاد المسير في علم التَّفسير، تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي، دار الكتاب العربيّ _ بيروت، ط1.

3- ابن حَنْبَل، أحمد، (ت241هـ-855م)، (2001م)، المسنَد تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرين، مؤسّسة الرّسالة، بيروت ط1.

4- ابن عاشور، الطّاهر (ت1393هـ-1973م)، (1984م)، التَّحرير والتَّنوير، الطّاهر الدّار التّونسيّة للنّشر – تونس، ط1.

5- ابن عبد السَّلام، العِزّ (ت660هـ-1262م)، (1996م)، تفسير العزّ بن عبد السَّلام، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط1.

6- ابن كَثير، أبو الفِداء (ت774هـ-1373م)، (1999م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمّد سلامة، دار طيبة للنّشر والتّوزيع، ط2.

7- ابن ماجه، أبو عبد الله (273هـ-887م)، سُنَن ابنِ ماجَه تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربيّة - عيسى البابي الحلبيّ، القاهرة، ط1.

8- ابن مالك، محمّد بن عبد الله (ت672هـ-1274م)، (1990م)، شرح تسهيل الفوائد، ابن مالك تحقيق: د. عبد الرّحمن السّيّد، د. محمد بدوي المختون، هجر للطّباعة والنّشر، ط1.

9- ابن منظور، محمّد بن مكرم (ت711هـ-1311م)، (1414هـ)، لسان العرب، دار صادر – بيروت، ط3.

10- أبو عُبَيدة، معمر بن المثنّى (ت209هـ-824م)، (1381هـ)، مَجاز القرآن، تحقيق: محمّد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.

11- الأصبهانيّ، أبو نعيم (ت430هـ-1038م)، (1974م)، حِلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار السَّعادة - بجوار محافظة مصر.

12- الأصفهانيّ الباقوليّ، جامع العلوم (ت543هـ-1149م)، (1420هـ)، إعراب القرآن المنسوب خطأً للزّجّاج، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري – القاهرة، ط4.

13- الأندلسيّ، ابن عطيّة (ت542هـ-1146م)، (1422هـ)، المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة - بيروت، ط1.

14- البُخاريّ، أبو عبد الله (ت256هـ-870م)، (1422هـ)، صحيح البُخاريّ تحقيق: محمّد زهير بن ناصر النّاصر، دار طوق النَّجاة، السّعوديّة، ط1.

15- البَغَويّ، أبو محمّد (ت510هـ-1117م)، (1420هـ)، مَعالم التَّنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرّزّاق المهدي، دار إحياء التّراث العربيّ ــ بيروت، ط1.

16- البِقاعيّ، برهان الدّين (ت885هـ-1480م)، نَظْم الدُّرر في تناسُب الآيات والسُّور، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة.

17- البَيْضاويّ، عبد الله بن عمر (ت685هـ-1292م)، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

18- الثَّعالبيّ، أبو إسحاق (ت427هـ-1035م)، (2002م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: أبي محمّد بن عاشور، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ط1.

19- الرّازيّ، فخر الدِّين (ت606هـ-1209م)، (1420هـ)، مفاتيح الغيب، دار إحياء التّراث العربيّ – بيروت، ط3.

20- الزَّمخشريّ، جار الله (ت538هـ-1143م)، (1407هـ)، الكشّاف، دار الكتاب العربيّ – بيروت، ط3.

21- السَّمْعانيّ، أبو المظفَّر (ت489هـ-1096م)، (1997م)، تفسير السّمعانيّ، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عبّاس بن غنيم، دار الوطن، الرّياض – السّعوديّة، ط1.

22- سيّد قطب، إبراهيم حسين الشّاذليّ (ت1385هـ-1966م)، (1412هـ)، في ظِلال القرآن، دار الشّروق – بيروت، ط17.

23- الشَّوكانيّ، محمّد بن عليّ (ت1250هـ-1839م)، (1414هـ)، فَتْح القدير، الشَّوكانيّ دار ابن كَثير، دمشق، ط1.

24- الصّابونيّ، محمّد عليّ، (1997م)، صفوة التّفاسير، دار الصّابونيّ للطّباعة والنّشر والتّوزيع – القاهرة، ط1.

25- الطَّبريّ، ابن جرير، (ت310هـ-923م)، (2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمّد شاكر، مؤسّسة الرّسالة، ط1.

26- العسكريّ، أبو هلال (ت395هـ-1005م)، (1419هـ)، كتاب الصّناعتين، تحقيق: محمّد البجّاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريّة – بيروت.

27- العسكريّ، أبو هلال (ت395هـ-1005م)، جَمْهَرَة الأَمثال، دار الفكر – بيروت.

28- الفارسيّ، أبو عليّ (ت377هـ-987م)، (1993م) الحُجَّة للقُرّاء السَّبعة، تحقيق: بدر الدّين قهوجي - بشير جويجابي، دار المأمون للتّراث - دمشق، ط2.

29- الفَرّاء، أبو زكريّا (ت207هـ-822م)، معاني القرآن، تحقيق: النّجاتي والنّجّار وشلبيّ، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة – مصر، ط1.

30- القيروانيّ، أبو الحسَن (ت479هـ-1086م)، (2007م)، النُّكَت في القرآن الكريم (في معاني القرآن الكريم وإعرابه)، تحقيق: د. عبد الله الطويل، دار الكتب العلميّة – بيروت، ط1.

31- القيروانيّ، يحيى بن سَلّام (ت200هـ-815م)، (1979م)، التّصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهَت أسماؤه وتصرّفت معانيه، ، تحقيق: هند شلبيّ، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، ط1.

32- الماورديّ، أبو الحسَن (ت450هـ-1058م)، تفسير الماورديّ (النُّكَت والعيون)، تحقيق: السّيّد بن عبد المقصود بن عبد الرّحيم، دار الكتب العلميّة – بيروت، لبنان.

33- المحلّي، جلال الدّين (ت864هـ-1459م) – والسّيوطيّ، جلال الدّين (ت911هـ-1505م)، تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1.

34- الواحديّ، أبو الحسن (ت468هـ-1076م)، (1415هـ)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان داوووديّ، دار القلم - دمشق، ط1.

KAYNAKÇA

Kur'ân-ı Kerim

Ahmed b. Hanbel (241/855), *Müsnedu Ahmed b. Hanbel*, (Thk. Şuayb el-Arnavut ve başkaları), Beyrut, 2001.

Buhârî, Ebû Abdillah (256/870), *Sahîhu'l-Buhârî*, (Tahk. Muhammed Züheyr b. Nâsır en-Nâsır, h.1422.

Ebû Aliyy el-Fârisiyy (377/987), *el-Hucce li'l-Kurrâi's-Seb'a*, (Thk. Bedreddîn Kahveci, Beşîr Cuveycâtî) Dımaşk, 1993.

Ebû Hilâl el-Askerî (395/1005), *Kitâbu's-Sınâateyn*, (Thk. Muhammed el-Beccâviyy ve Muhammed Ebu'l-Fadl İbrâhim), Beyrut, h.1419.

Ebû Hilâl el-Askeriyy (395/1005), *Cemheratü'l-Emsâl*, Beyrut, t.y.

Ebû İshâk es-Seâlebî (427/1035), *el-Keşfu ve'l-Beyân an Tefsîri'l-Kur'ân*, (Tahk. Ebî Muhammed b. Âşûr, Beyrut, 2002.

Ebû Nuaym el-Esbehânî (430/1038), *Hilyetu'l-Evliyâ ve Tabakâtu'l-Asfiyâ*, Mısır, 1974.

Ebû Ubeyde, Ma'mer b. Müsennâ (209/824), *Mecâzü'l-Kur'an*, (Thk. Muhammed Fuâd Sezgin, Kahire, h.1381.

Ebu'l-Hasen el-Kayravânî (479/1086), *en-Nüket fi'l-Kur'âni'l-Kerîm*, (Tahk. Dr. Abdullah et-Tavîl), Beyrut, 2007.

el-Bâkûlî, Câmiu'l-Ulûm el-Esfehânî (543/1149), *İ'râbu'l-Kur'ân*, (Tahk. İbrâhîm el-Ebyârî) (el-Mensûb Hataen li'z-Zeccâc,) Dâru'l-Kitâbi'l-Misriyy, Kahire, (4. Baskı) h.1420.

el-Begavî, Ebû Muhammed (510/1117), *Meâlimu't-Tenzîl fî Tefsîri'l-Kur'ân*, (Tahk. Abdürrezzak el-Mehdî), Beyrut, h.1420.

el-Beydâvî, Abdullah b. Ömer (685/1292), *Envâru't-Tenzîl ve Esrâru't-Te'vîl*, (Tahk. Muhammed el-Mar'aşli, Beyrut, t.y.

el-Bikâî, Burhâneddîn (885/1480), *Nazmu'd-Dürer fî Tenâsübü'l-Âyati ve's-Süver*, Kâhire, t.y.

el-Ferrâ, Ebû Zekeriyyâ (207/822), *Meâni'l-Kur'ân*, (Thk. en-Necâtî ve'n-Neccâr ve Şelebî), Mısır, t.y.

el-İzz b. Abdi's-Selâm (660/1262), *Tefsîru el-İzz b. Abdi's-Selâm*, (Tahk. Dr. Abdullah b. İbrâhim el-Vehbî), Beyrut, 1996.

el-Mahallî (864/1459), es-Suyûtî (911/1505), *Tefsîru'l-Celâleyn*, Kâhire, ty.

el-Mâverdî, Ebu'l-Maverdi (450/1058), *Tefsîru'l-Mâverdî* (en-Nüket ve'l-Uyûn), (Tahk. es-Seyyid b. Abdi'l-Maksud b. Abdirrahim, Beyrut, Lübnan, t.y.

el-Vâhidî (468/1076), *el-Vecîz fî Tefsîri'l-Kitâbi'l-Azîz*, (Thk. Safvân Dâvûdî), Dımaşk, h. 1415.

er-Râzî (606/1209), *Mefâtîhu'l-Gayb*, Beyrut, h.1420.

es-Sem'ânî (489/1096), *Tefsîru Ebi'l-Muzaffer es-Sem'ânî*, (Thk. Yâsir b. İbrâhim ve Ganim b. Abbâs b. Ganîm, Riyad, 1997.

et-Taberî (310/923), *Câmiu'l-Beyân fî Te'vîli'l-Kur'ân*, (Thk. Ahmed Muhammed Şâkir), Müessesetü'r-Risâle, 2000.

et-Tâhir b. Âşûr (1393/1973), *et-Tahrîr ve't-Tenvîr*, Tunus, 1984.

ez-Zemahşerî (538/1143), *el-Keşşâf*, Beyrut, 1407.

İbn Atıyye el-Endelusî (542/1146), *el-Muharrar el-Vecîz fî Tefsîri'l-Kitâbi'l-Azîz*, (Tahk. Abdüsselam Abdüşşafî Muhammed), Beyrut, 1422.

İbn Ebî Hâtim (327/938), *Tefsîru'l-Kurâni'l-Azîm,* (Thk. Es'ad Muhammed et-Tayyib), Suudiyye, 1419.

İbn Kesîr (774/1373), *Tefsîru'l-Kurâni'l-Azîm*, (Thk. Sâmî b. Muhammed Sellâme) Dâru Tıybe, 1999.

İbn Mâce (273/887), *Sünenü İbn Mâce*, (Thk. Muhammed Fuâd Abdülbâkî), Kahire, t.y.

İbn Mâlik (672/1274), *Şerhu Teshîli'l-Fevâid*, (Tahk. Dr. Abdurrahman es-Seyyid, Dr. Muhammed Bedvî el-Mahtûn),ts. 1990.

İbn Manzûr (711/1311), *Lisânu'l-Arab*, Beyrut, 1414.

İbnu'l-Cevzî (597/1201), *Zâdü'l-Mesîr fî İlmi't-Tefsîr*, (Tahk. Abdürrezzak el-Mehdî, Beyrut, h.1422.

Muhammed Ali es-Sâbûnî, *Safvetü't-Tefâsîr*, Kahire, 1997.

Seyyid Kutub (1385/1966), *Fî Zılâli'l-Kur'ân*, Mısır, 1974.

Şevkânî (1250/1839), *Fethu'l-Kadîr*, Dımaşk, h.1414.

Yahya b. Sellâm el-Kayravânî (200/815), *et-Tesârîf li Tefsîri'l-Kur'ân mimme'ştebehet Esmâuhû ve Tesarrafet Meânîhi*, (Tah. Hind Şelebî), Tunus, 1979.